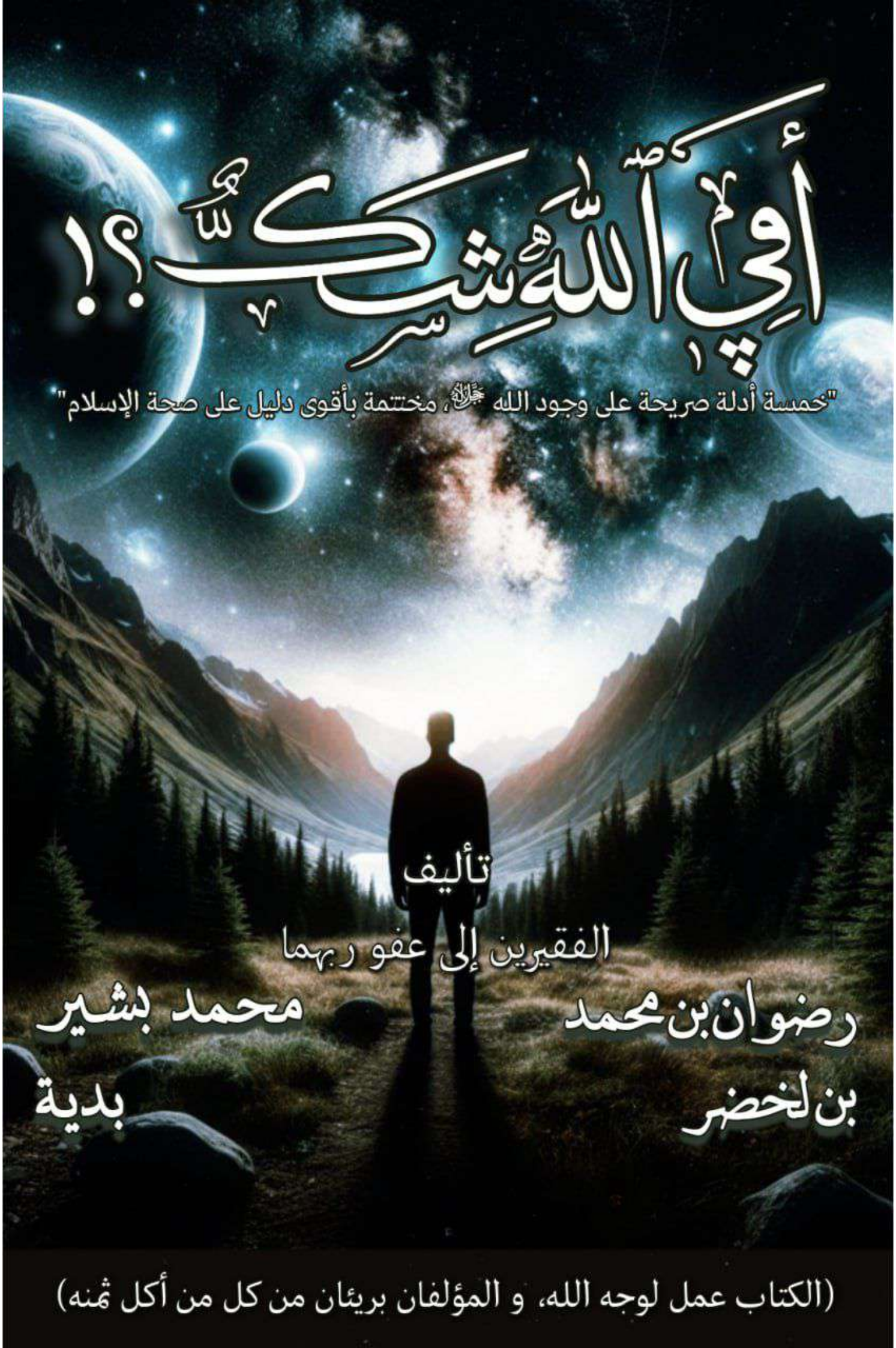

(الكتاب عمل لوجه الله، و المؤلفان بريئان من كل من أكل ثمنه)

مقدّمة المؤلّف: رضوان بن أمحمد بن لخضر

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد يقول ربّنا عزّ وجل حاكيًا عما دار بين الكفّار ورُسُلهم من المجادلة **{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }** سورة إبراهيم 10.

" أفي الله شك " سؤالٌ استنكاري بطابعٍ توبيخي على قضية هي أم القضايا وأصل المعارف وعين اليقين، إنّها قضيّة وجود الباري سبحانه وتعالى التي لا ننكر بالمطلق أنه وُجد تاريخيًا من حاول التنصّل منها والسفسطة حولها لكنها كانت محاولات على استحياءٍ شديد بحيث لم يُقم التاريخ لهؤلاء المشكّكين أي وزنٍ ولا تم أخذهم على محمل الجد من طرف من عاصرهم.

لكن يأبى الله إلا تتم سنّة الابتلاء والتمحيص على عباده وتتكمن الشياطين مع مرور حِقبٍ زمنية معتبرة من تشويه فطرة شريحة لا بأس بها من البشر بحيث وصل الأمر بهم إلى الإنكار الصريح لوجود الله سبحانه وتعالى! وصاروا يصرّحون بهذه الكارثة العقلية والوقاحة المعرفية دون تمعّرٍ أو شعورٍ بالخجل من أنفسهم، بل حتى أنهم ألبسوا هذه الجريمة المعرفية ثوب العقلانية وألصقوها زورًا بالعلم، وأصبح كل من يُخالف جنونهم يتم رميه بالجهل والرجعية وأنه عدوٌّ للبحث العلمي والتقدّم الحضاري ويا عجبي!!

وإنّه والله لولا واجب الدعوة التي كلّفنا بها رب العزّة في كتابه الكريم **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}** آل عمران 110 والطمع الشديد في نيل رضاه ومحبّته سبحانه وتعالى، ما تكلّفت أنا وأساتذتي من الدُّعاة وطُلّاب العلم عناء الخوض في هذه المسألة الشديدة البداهة، فالأمر عندي أشبه بمن يأتي بك إلى إحدى الساحات العمومية في يومٍ مشرقٍ ذي سماءٍ صافية ويطلب منك أن تثبت له أن الشمس موجودة فوقنا والله المستعان!

وحتى لا أُطيل هذه المقدّمة وأُشعر القرّاء بالملل، سأختمها بأحسن ما يكون وهو الدعاء بأني أسأل الله عزّ وجل أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصًا لوجهه الكريم وأن يعصمني وأخي الاستاذ بشير من أي شائبة رياء مهما صغُرت، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم، اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك، **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** البقرة 201...

اللهم آمين

إهداء وشكر من المؤلّف: رضوان بن أمحمد بن لخضر

الإهداء:

إلى من جعلهما الله سببًا في وجودي إلى من دفعا زهرتيّ أعمارهما وطاقتهما ثمنًا لتنشأتي على الإيمان بربي سبحانه والالتزام بفرائضه، إلى من لم يبخلا عليا بأي شيء مما يقدرا عليه سواء أكان الأمر عاطفيا أم ما ديا إلى والديّ الحبيبين ولن أجد أحسن من كلام الله عزّ وجل الذي علّمني أن أقول عنهما **{وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}** الإسراء 24.

إلى أخواتي العزيزات جواهر البيت وروحه ومصدر نشاطه مرحه أسأل الله أن يحفظكن وأسأله لكنّ كذلك الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات عليه لا خر لحظة من أعماركن.

إلى جدّي **لخضر** رحمه الله وغفر له صاحب الأذان الأول في بلدية غليزان الجزائرية بعد الاستقلال الجد الطيب ومُحفّظ القرآن الصالح، نحسبه هكذا ولا نزكّي على الله أحدًا اللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عنه يا أرحم الراحمين

وبعد حمد الله وشكره على فضله وكرمه ومعونته لي في رحلتي من أجل تأليف هذا العمل المتواضع الذي أسأله جلّ في علاه أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

سأنتقل بعدها إلى توجيه شكري وامتناني لكل من جعله الله لي سببًا معينًا في تأليف هذا الكتاب سواءٌ من استفدت منه في موضوع المصادر والمراجع، سواءٌ من استفدت من قراءة كتبه ومشاهدة حلقاته في اليوتيوب في مجال نقد الإلحاد والرد على الشبهات، وغيرهم ممن ساهم معي ولو بفكرة أو جملة واحدة.

شكرًا للأخ الطيب والعزيز الأستاذ **أحمد ناجي السعيد** مؤلّف كتاب " براهين في مواجهة الملحدين " الذي لا قاني الله به في الفيسبوك ليكون هو أول من زرع في داخلي بذرة الرغبة في تأليف كتابٍ أنصر به دين ربي عزّ وجل ويكون ذُخرًا لي في قبري وفي يوم القيامة إن شاء الله..... لن أنسى لك صنيعك معي وتأثيرك فيا ما دمت حيًّا بإذن الله، بارك الله فيك ورزقك الإخلاص وثبتك على الحق إلى آخر لحظةٍ من عمرك.

شكرًا للقدوة والمعلم والمؤثّر الذي قلب الله به حياتي رأسًا على عقب منذ 2019، الذي غيّر نظرتي التقليدية لديني، الذي جعله الله سببًا لنفض غبار الجهل عن نفسي، الذي به دخلت عالم نقد الإلحاد والتصدي للشبهات أول مرة في حياتي، شكرًا للشيخ والدكتور الحبيب **هيثم طلعت** وأسأل الله له الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر لحظة من عمره.

شكرًا للمهندس الطيب العزيز، المهندس **محمد شاهين التاعب** وقناته الثمينة التي لا تقدّر بكنوز الدنيا "قناة الدعوة الإسلامية" بكل القائمين عليها، وأسأل الله لكم الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر لحظاتٍ من أعماركم.

شكرا للأخ العزيز والأستاذ القدير والفيزيائي الفذّ، مصطفى **نصر قديح** صاحب الكتاب التحفة الذي أنصح كل من تستهويه الفيزياء وتستهويه فكرة نقد الإلحاد من الناحية العلمية الفيزيائية وأعني هنا كتاب " الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق"، أسأل الله له الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر لحظة من عمره.

شكرًا لقدوتنا في التأليف وأستاذنا في الردود الأكاديمية ومعلّمنا القدير الذي لا يوجد شاب مسلم عربي خاض غمار الدفاع عن الإسلام والرد على أعدائه إلّا واستفاد من كتبه الثمينة الدّسمة، إنه الدكتور الطيب **سامي عامري**، أسأل الله له الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر لحظة من عمره.

شكرًا لشيخنا الحبيب الفقيه **عبد الله دراز**، المدافع عن كلام الله عزّ وجل، الناصر لدين ربّه في عصر فتنة الشيوعيين والعالمانيين، رحمك الله يا شيخنا وغفر لك وجزاك عنّا خيرًا على كل حرفٍ ألفته لنصرة الإسلام.

شكرًا للأخ العزيز **أيوب بوزيّان** صاحب قناته على اليوتيوب المُسمّاة على اسمه والمليئة بالجهود الجبّارة في التصدي للإلحاد والتنصير ومنكري السنّة وغيرهم من أعداء الإسلام العظيم، جزاه الله خيرًا وأسأل الله له الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر لحظة من عمره.

شكرًا للإخوة الأحباب الأعزّاء القائمين على موقع " وهم العالمانية " ومن بينهم على وجه الخصوص أخي الكبير الطيب والعزيز **إبراهيم الزيادي**، لن أنسى له صبره على أسئلتي المزعجة بعض الأحيان وعدم بُخله عليّا بأي إجابة رزقه الله إياها، جزاه الله خيرًا هو وبقية اخوتي القائمين على هذا

الموقع الثمين وأسأل الله لهم جميعًا الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر اللحظات من أعمارهم.

شكرًا لا خي الحبيب الصغير عمرًا الكبير معزّةً **ياسين القسنطيني** الذي تكفَل بتصميم غلافي الكتاب، جزاه الله خيرًا على إدخاله السرور على قلبي بجمال تصميمه وأسأل الله عزّ وجل له أن يحفظه ويبارك في عمره وعمر والديه وأن يكون له هذا المشروع المتواضع ذُخرًا وصدقةً جارية، وأسأل الله له كذلك الإخلاص والثبات على الصراط المستقيم لا خر لحظة من عمره.

ومسك الختام، أتوجه فيه بالشكر والاعتزاز بأخي الصغير عمرًا الكبير معزّةً وقدرًا عندي، إلى المؤلّف الثاني المشارك معي في هذا العمل المتواضع، إلى أخي **بديا بشير**، الذي لم يشاركني في تأليف هذا الكتاب فقط بل هو كذلك ممن جعلهم الله عونًا لي في تعلّم الدفاع عن ديني وعقيدتي، وقد استفدت منه أيّما استفادة، أسأل الله له التوفيق والسداد والإخلاص والثّبات على الصراط المستقيم لا خر لحظةٍ من عمره.

وأخيرًا أتوجه بالاعتذار وطلب السماح ممن نسيت أن أذكرهم إمّا سهوًا مني أو بسبب عدم إسعاف ذاكرتي لي، لكني قطعًا لن أنساهم من كلمات الشكر والتقدير ولن أنساهم من دعائي فأقول جزاكم الله خير الجزاء ورزقكم الإخلاص وثبّتكم على الحق والصراط المستقيم لا خر اللحظات من أعماركم.

مقدّمة وشكر المؤلّف: بدية محمد بشير

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن وجود الله تعالى عز وجل أوضح الواضحات، وهي الحقيقة التي تندرج منها كل حقيقة، والحقيقة التي يستحيل تصور عدمها، الحقيقة التي يشهد عليها الوجود.

وكما أن الوجود شاهد عليها، والعقل والفطرة وسائر الضروريات دالة عليها، فقد كان مناط كل مشكك التناقض، ومآل الملحدين السفسطة.

لذلك، مع صعود التيار الإلحادي نحن نرى أن أي تشكيك في وجود الخالق لا يخرج من كونه:

1) مقدمات باطلة تستدعي التناقض

2) تخمين عقلي يندرج منه التناقض

وكلا المنهجين التشكيكيين يستدعيان في ذاتهما الامتناع، ولا يمكن تفسير ذلك سوى بوجوب وجود الخالق بحيث أن فرض عدم وجوده أدى بنا للتناقض.

وليس العقل وحده شاهد على وجود الله، بل الخبر والحس وحتى المنهج التجريبي الذي يروج الملاحدة لنا أنهم أبناؤه، ومستحقوه وملازموه، بينما هو في حد ذاته قائم على منظومة تستلزم وجود الله فلا يمكن لا ي عالم القيام بأي دراسة تجريبية أو علمية دون الإيمان بذلك، يقول عالم الفيزياء البريطاني بول ديفيز: "العالم عندما يريد أن يقوم بأبحاثه في الكون لا بدّ أن يتبني فكرة لا هوتية دينية مبدئية حتى يستطيع القيام بأبحاثه".

فوجود الله بهذا المفهوم هو ضرورة، ضرورة عقلية، وليس مجرد إيمان كما يروج لنا الملحدون، وكسائر الضروريات فهو فطري كذلك، موجود في ذات الإنسان بغير كسب ولا نظر، بل هو علم حاصل فيه ضرورة، لذلك لم تشهد الأمم فترة من الفترات غاب فيها الإيمان.

ومما يرينا هذه الضرورة في أقوى صورة تتبدى فيها هي عقولنا، عقولنا بالذات لا قيمة لها في غير منظومة إيمانية، فباب المعرفة دون وجود الله مسدود، وسُبلها مقطوعة، وفضلا عن عقولنا فإن مفاهيمنا الأخلاقية كذلك لا تتمتع بأي قيمة إلا في ظلّ الإيمان بجود الله جلّ في عُلاه.

ومع ضـرورة وجود الله وامتناع مجرّد افتراض عدمه فضـلا عن التصـريح بذلك بمنتهى البجاحة، حدثت خلال القرن الماضي طفرة جرثومية، وهو أدق وصف نصف به هؤلاء الدُّخلاء الداعين لمعارضة ما تحصَّـل ضـرورة في ذاتنا، ولمواجهة هذا التيار الخبيث كُتبَت مؤلفات عديدة متنوعة شـكلاً ومعنى في موضوع إثبات وجود رب العالمين، وتضمّنت سطورها عدة براهين مختلفة في منهجية طرحها ومقدّماتها مثل برهان الإتقان وبرهان التسـخير إلى برهان الإمكان والحدوث إلى البراهين العقلية والحسـية إلى جانب كذلك البرهان الفطري.

وشهدت السنوات القلائل الماضية ضخًّا رهيبا في مكتباتنا العربية. وللمفارقة انحدر التيار الإلحادي طرديا في كتاباته، وصـار التكرار الممل هي صـفته المميزة، وبينما كان جريئا في وقت ما انحدر إلى الاكتفاء في كتاباته التشكيكية بالمنهج الإلحادي السلبي من قلة قليلة من الشاطحين.

وفي ذات الوقت تنوع الإلحاد في ذاته ليصـير لا أدريا في معظمه، وانقسـم اللاأدري إلى أنطولوجي وإبستمولوجي.

وبعد ملاحظتنا لتضـخّم كتابات الفريق الإيماني، وغزارة المادة المطروحة وطولها، ارتأينا أن يكون مشـروعنا " **كتاب أفي الله شـك** " قائمًا على الطرح البسـيط البعيد عن التأصـيلات الأكاديمية عن كثرة الأمثلة وطول الاستدلال، محاولين استيعاب الموضوع في قالبٍ مختصر من جهة ومصيبًا لكبد الحقيقة محقّقًا المراد من جهة أخرى.

والحاجة إلى هذا النوع من المشـاريع التي تحاول بقدر المسـتطاع الجمع بين البسـاطة والقوّة في الطرح متضـاعفة ومتظاهرة، فجاء كتابنا هذا الذي دعاني للمشـاركة فيه أخي الفاضـل " **رضـوان** " نتاجًا لرؤيتنا وطعنا في فضل ربّنا ومغفرته وأداءً لواجب الدعوة الذي افترضه علينا سبحانه وتعالى.

أخيرا أريد أن أشكر كل الإخوة الذين ساعدوني بالقليل أو بالكثير، مباشرة أو بشكل غير مباشر على غرار:

أخي وصديقي حفظه الله **رضوان بن محمد بن لخضر**

أخي **عمرو فتحي** والذي استفدت من أعماله بشدة في مباحث الداروينية وبرهان الإتقان

الدكتور **هيثم طلعت حفظه الله** والذي كان لقناته أثرا بالغا في التزامي الدعوي

الإخوة العاملين في مشروع **مركز بيان** على غرار **موحا صفي** و**المتوكل بالله** وغيرهم رعاهم الله.

وإن كان هناك من نسيته فليس لقلّة فائدته، بل ليعذرني لتحرّجي من الإطالة ورغبتي الملحّة في الاختصار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس المحتويات:

الموضوع	الصفحة
دليل الفطرة	12
دليل الخلق والإيجاد	33
دليل الإتقان والإبداع	65
دليل العناية	74
الدليل الأخلاقي ومعضلة الإلحاد	97
أقوى وأبسط برهان على صحة الإسلام	118

دليل الفطرة

ما المقصود بالفطرة؟

الجواب:

قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30]

يقول ابن كثير في تفسيره للآية:" يقول تعالى: فسدِّدْ وجهك واستمر على الدين الذي شرعه اللّه لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك اللّه لها، وكملها لك غاية الكمال، ولازم فطرتك السليمة التي فطر اللّه الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره. وذكر أن الله ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك."

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ وهذا لفظ البخاري قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم".

قال ابن الأثير في النهاية:" ومعنى الحديث: أن المولود يولد على نوع من الجبلة، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئا لقبول الحق طبعا وطوعا، لو خلته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غيرها، فضرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلا. يعني أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق، سوية الأطراف، سليمة من الجدع، لولا تعرض الناس إليها لبقيت كما ولدت سليمة"[1].

وقال المناوي في التعاريف:" الفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين، كذا عبر ابن الكمال، وقال الراغب: هي ما ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان، وقال الشريف: الخلقة التي جبل عليها الإنسان".[2]

---

1 النهاية في غريب الحديث الجزء1 ص247

2 التوقيف على مهمات التعاريف – فصل الطاء – ص262

قد يطرأ تساؤل في ذهن الشخص المؤمن قبل الكافر مفاده: أوليس القرآن يقول: {وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} النحل 78، فكيف نقول بأن الإنسان يولد وهو يؤمن بهذه المعارف كوجود الله وتوحيده وبالتالي اعتناق دين الإسلام؟؟

الجواب:

لقد أجاب علماء المسلمين عن سوء الفهم هذا بإجابات شافية وواضحة فنجد منهم: قول ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل:" ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل أنه ولد على الفطرة، أو على الإسلام، أو على هذه الملة، أو خلق حنيفا، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده؛ فإن الله يقول: والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا. ولكن فطرته موجبة، مقتضية لدين الإسلام لقربه، ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه، ومحبته، وإخلاص الدين له .وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت من المعارض.

وليس المراد أيضا مجرد قبول الفطرة لذلك؛ فإن هذا القبول تغير بتهويد الأبوين وتنصيرهما، بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها، وإن سعيا بين بنيهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول أيضا، ليس هو الإسلام، وليس هو هذه الملة، وليس هو الحنيفية. وأيضا فإنه شبه تغيير الفطرة بجدع البهيمة الجمعاء، ومعلوم أنهم لم يغيروا قبوله، ولو تغير القبول وزال، لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ بل المراد أن كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية. فلو خلي وعدم المعارض، لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه..."[1]

وكذلك قال شيخه ابن تيمية رحمه الله:" ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس مثل

1 كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل الجزء2 ص407

حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضـاً كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فسـاد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مراً، ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسـلام بالعقل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شـيئاَ، ولكن سـلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسـلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسـلماً، وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضـي بذاتها الإسـلام ما لم يمنعها ما نع.. هي فطرة الله التي فطر الناس عليها".[1]

فالحاصـل من كلام الشـيخين أنه عندما نقول بأن الإنسـان يولد مفطورًا على الإيمان بالله ووحدانيته وصحة دينه الإسلامي فإننا لا نقصد أنه بمجرّد نزوله من بطن أمه فإنه يكون عالمًا بأن للكون خالقًا وهو أحدٌ لا شـريك له وأن دينه الإسـلامي هو الحق وما دونه هو الباطل، قطعًا لا نقصـد ذلك! بل المعنى أنه يولد وهو مهيّئ لقبول هذه المفاهيم والتصـديق بها بحيث لو تُرك وحده دون تعريضـه لا ي تدخّلٍ من مختلف العوامل الخارجية، فإنه سـينتهي به المطاف لا محالة إلى الإيمان بوجود خالقٍ لهذا الوجود، عظيمٍ كامل الصـفات، وأنه واحد لا شـريك له في ملكه، وبالضـرورة سـيجد نفسـه مؤمنا بالإسـلام كونه متوافقًا مع هذه الفطرة (سنشير لهذا الموضوع لا حقا بإذن الله).

هل هناك شواهد واقعية على فطرية الإيمان بالله؟

الجواب:

"لا ملحدين في الخنادق" هذه عبارة اشـتُهرت إبَّان الحرب العالمية الثانية، ينسـبها البعض لكولونيل وآخرون لصـحفي، وهناك مؤلف ينسـبها إلى راهب، ودلالة هذه العبارة واضـحة، فكثير من الملحدين يؤمنون بالله في قرارة أنفسـهم، وأعماق قلوبهم، ويظهر هذا الإيمان جليًّا في المحن والأزمات والحروب والمواقف الحرجة.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسـيري رحمه الله في كتابه رحلتي الفكرية:" ومن أطرف القصـص التي رواها أحد الرفاق السابقين الفلسطينيين ما حدث له مع مجموعة من التروتسكيين حضروا إلى معسكر تدريب الفدائيين، وبادروا صديقي بالسؤال عن إطاره النظري ومنطلقاته الفلسفية ونقط ارتكازه العقلية،

1 مجموع الفتاوى الجزء 4 –مفصل الاعتقاد– ص247

فاحتار صديقي ولكنه أخبرهم بأنهم في هذا المعسكر يؤمنون بالكفاح المسلح، ثم أضاف أنهم يمكنهم أن يشاركوا بأنفسهم في عملية عسكرية في اليوم التالي. ثم أعد صديقي الماكر عدة سيارات لهم، وتقدم الموكب نحو منطقة جبلية. ثم بدأ ينهال عليهم الرصاص، بتدبير سابق، وبطبيعة الحال لم يصبهم بسوء. ولكن كما أخبرني صديقي – تصرف التروتسكيون مثل أي بشر، أي اختبؤا تحت السيارات، ولكن ما فاجأه هو أن كل واحد منهم بدأ يتلو أدعية دينية ويطلب العون من الإله!"[1]

وقس على هذا المثال الذي نقله لنا الدكتور المسيري رحمه الله بقية الوقائع والحوادث الشخصية التي تقع لكل فرد منا على اختلاف دينه أو مذهبه الفلسفي، كالمهاجرين الغير شرعيين في القوارب السريعة لحظة احساسهم بقُرب موتهم غرقًا، أو ركّاب طائرة يحسون بخطر سقوطها وتحطمها، أو شخصٍ واقف أمام باب غرفة العمليات في انتظار مصير أحد أحبّاءه الذي هو في حالة جد حرجة.....كل هذه المواقف وغيرها ممن يتبلور فيها جوهر الضعف الإنساني ورغبته الداخلية الملّحة في البحث عن سندٍ قوي يشكو إليه عجزه وقلّة حيلته بعدما تقطّعت به السُّبل وأُغلقت عليه المنافذ، في هذه اللحظة بالضبط ينسى الإنسان تعجرفه واغتراره ببني جنسه وقوته العلمية ويفرُّ مباشرة إلى المصدر الذي تسكن إليه نفسه ويطمئن به قلبه....إلى خالقه وبارئه عزّ وجل.

وصدق أستاذنا عليّ عزت بيجوفيتش رحمه الله عندما صرّح في كتابه الشهير" الإسلام بين الشرق والغرب" أن الإنسان رجلاه مغروستان في الأرض لكن رأسه دائمًا مرفوع ومُتطلّع إلى السماء!

لكن لحظة! قد يقفز علينا ملحد متذاكي ويصرخ في وجهنا قائلاً: أنتم تمارسون ازدواجية صريحة في طرحكم للأدلة فنحن كذلك نقدر على قلب الطاولة عليكم وإحضار عشرات الأمثلة على إلحاد الناس بسبب مواقف حرجة كموت الأقارب والمجازر الناجمة عن الحروب والمجاعات!

قد يبدو من الوهلة الاولى أن صاحب هذا الاعتراض "جاب التايهة " على رأي إخواننا المصريين لكن بأقل تركيزٍ سنكتشف أن هناك مغالطة محشوّة في هذا الاعتراض والتي تتمثل في كون الملحد لم يخبرنا

1 طبعة قديمة بعض الشيء ص102

عن نقطة مهمة ألا وهي: – هؤلاء الذي اتخذوا الشر والمآسي[1] كذريعةٍ لكفرهم بخالقهم وادّعوا عقلانية هذا القرار، هل سيثبتون على هذا الموقف العقلاني (حسب زعمهم) عندما يعيشون تجربة جديدة مع نفس هذه الأحداث التي ذكرناها أين يصبح الموت محيطًا بهم من كل جانب وتبلغ القلوب الحناجر وترى رُكبهم تضرب بعضها بعضًا من شدة الرعب؟! هل سيثبت أحدهم على جحوده بربه عندما يرى أحد أعزّائه في حالة بين الموت والحياة بعد ان استنفذ الأطباء كل الحلول التي بأيديهم؟! هذه هي الأسئلة المحورية التي يجب على الملحد الإجابة عنها لا أن يأتينا بأمثلة عن أشخاص اتخذوا قرار الإلحاد بعض أن ضمنوا سلامتهم ونجاتهم من الموت أو بعد أن خسروا أقاربهم وانتهى الأمر، فهذا عين التدليس والمغالطة!

وصدق ربنا تبارك وتعالى في محكم تنزيله إذ يقول {**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا**} [الإسراء: 67]

هل هناك شواهد واقعية عن فطرية الإيمان بكمال صفات الله؟!

الجواب:

إن أوضح مثال على طغيان التسليم بالكمال الإلهي على نفوس البشر باختلاف عقائدهم وأفكارهم هم اللادينين أنفسهم! تخيّل! نعم فالاعتراضات التي يطرحها اللاديني من أجل نقد الدين هي بحد ذاتها صورة من صور الإقرار المسبق بأن الخالق يجب أن يكون كاملا ومتنزّهًا عن النقص.

فاللّاديني لا يطرح مسألة وجود الشر في هذا العالم كاعتراض على وجود الخالق إلاّ ويكون قد سلَّم مُسبقًا بضرورة أن يكون هذا الخالق متّصفٌ بعدلٍ كاملٍ لا يعتريه أي ظلمٍ ولو كان مثقال ذرّة! وكذلك اعتراضه على أمر الله الناس بعبادته ووعيده إياهم بالعقوبة إن امتنعوا أو قصّروا في أدائها هو دليلٌ واضحٌ على إيمانه سلفًا بأن الخالق يجب أن يكون غنيًّا عن مخلوقاته ولا يجوز فيه الاحتياج والافتقار لا ي شيء!

1 سنفند شبهة كون الشر دليلا على عدم وجود الله عزّ وجل في موضعٍ آخر بإذن الله

فلو لم يكن كمال الله وتقدُّسِه عن النقائص مغروسان في فِطر الناس جميعًا لما قدّم اللّاديني اعتراضاته من الأساس! بل لن يجد مشكلة من وجود الشر بمختلف أنواعه في هذا العالم لأنه في هذه الحالة يجوز للخالق أن يكون ظالمًا وطاغيا (حاشاه عزّ وجل)، ولن يرى حرجًا في قبول بعض التصورات الوثنية التي تصوّر الخالق ينام ويستريح ويأكل لأنه سيكون جائزًا في حقّه النقص والاحتياج، تعال الله عن ذلك كلّه وتقدسّت أسمائه وصفاته.

بل حتى الإنسان الوثني عندما تضيق به الحياة ويتعرّض لخطر محدق ويحسِب نفسه هالكًا لا محالة فإنك تجده يرفع يديه شاخصًا ببصره نحو السماء ويبدأ في التضرع بإخلاصٍ لخالقه، في هذه اللحظة تختفي كل التصوّرات الوثنية والنقائص التي اعتاد أن ينسبها لله من جوعٍ وموتٍ وتعبٍ وما شابهها، ولا تبقى في ذهنه إلا صورة الإله العظيم القادر على كل شيء، الغني عن جميع الأسباب والذي هو وحده من سيُنجده من محنته!

وكل ما سبق هو ما سوى غيضٍ من فيض الأمثلة والشواهد الواقعية الدالة بلا أدنى شك أن كمال صفات الله هو أمرٌ مركوزٌ في فطر الناس ولا يُجادل في ذلك إلا جاحد أو شخص أُبتليَ بمرض الشك المفرط الناتج عن تشوه فطرته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة، وأحوال تعرض لها" [1]

هل هناك شواهد علمية تدعم فطرية الإيمان بوجود الله؟؟

الجواب:

يقول عالم النفس الأمريكي جيمس هنري لوبا:" يندهش الكثيرون وهم يشاهدون استيلاء سؤال الخلق على خواطر الأطفال، يشاهد الطفل حجرا غريب الشكل فيسأل من الذي صنعه؟ فيُجاب: تشكّل

1 "مجموع الفتاوى" (73/ 6)

بفعل تيار الماء، ثم فجأة يقذف بأسئلة متعاقبة بذهول: من صنع النهر؟ من صنع الجبل؟ والأرض؟ لا شك أن ضرورة وجود الصانع مغروسة في الإنسان البدائي منذ وقت مبكر"[1]

يقول عالم النفس الشهير جاستن باريت في مقدمة كتابه:" دهشت أمٌ ملحدة من أكسفورد عندما اكتشفت أن ابنها ذا الخمس سنوات كان يحمل إيمانا راسخا بالله رغم ما بذلته من جهد لتجعله ملحد"[2]

ويضيف في موضعٍ آخر من كتابه حاكيا عن زميلته السابقة في العمل:" أنا مسيحية وزوجي ملحد وقد قررنا ألا ندفع أولادنا في أي اتجاه ولكن هذا لا يبدو أنه مهم فالبنات الثلاث جميعهن يؤمنّ بالله وبدرجة عميقة بل إن صوفي أكبرهن تشاجرت مع أبيها وأخبرته أنه مخطئ باعتقاده أن الله غير موجود"[3]

ويضيف كذلك دومينيك جونسون عالم الأحياء التطوري ودكتور العلوم السياسية في جامعة أكسفورد الآتي:" يعتقد الأطفال بالقوة الخارقة للطبيعة ويلاحظونها في كل مكان ويجدونها طبيعية تماما، وحتى سنوات التعليم العلماني يمكن أن تفشل في القضاء على هذه المعتقدات. الإلحاد هو معركة ليس فقط ضد الثقافة، ولكن ضد الطبيعة البشرية"[4]

ويقول في نفس الكتاب:" لن تتوقف أدمغة البشر فجأة عن الإيمان بالعوامل الخارقة للطبيعة، أو بالعواقب الخارقة لا فعالنا لا نهم لا يستطيعون ذلك، العقل البشري موصّل بتبني مفاهيم خارقة للطبيعة سواء كنا تنتمي إلى الكنيسة أم لا ، يمكننا أن نطمح إلى الإلحاد، وترشيد سلوكنا، وتعلم العلم، لكن لا يمكننا إيقاف الآليات المعرفية الطبيعية التي تتمثل وظيفتها في إدراك الفاعلية، والنية، والغرض في هذا العالم."[5]

By 1 THE PSYCHOLOGICAL ORIGIN AND THE NATURE OF RELIGION
JAMES H. LEUBA P41

2 BORN BELIEVERS " The Science of Children's Religious Belief " by JUSTIN L. BARRETT

3 نفس المصدر السابق ص5

4 GOD IS WATCHING YOU by Dominic Johnson P11

5 نفس المصدر السابق ص230

ليعود جاستن باريت مرة أخرى وفي كتاب آخر قائلا:" الإيمان بالله لا يتطلب إكراها أو غسيل دماغ أو تقنيات خاصة بدلا من ذلك ينشأ الإيمان بالله بسبب الأداء الطبيعي للآليات العقلية الطبيعية تماما التي تعمل في سياقات طبيعية واجتماعية مشتركة."[1]

وها هو عالم النفس والإدراك في جامعة **يال** بول بلوم يُعلنها في تصريحٍ نقله عنه الباحث جيم بلاك:" إن عقولنا مضبوطة جيدا للإيمان بالله إن هذا يحدث لأن بعض القدرات المعرفية التي جعلت البشر ناجحين جدا مثل الأنواع تميل إلى خلق استعداد للتفكير الخارق... يوجد الآن الكثير من الأدلة على أن بعض أسس معتقداتنا الدينية راسخة." [2]

كما قام جيم بلاك وفي نفس الكتاب بنقل ما وصلت إليه الدكتورة أوليفيرا بتروفيتش من جامعة أكسفورد حيث كتب قائلًا:" لقد وجدت الدكتورة بيتروفيتش أن الردود قوية عند سؤال الأطفال من أين أصل الأشياء مثل النباتات والحيوانات، ووجدت أن الأطفال أكثر عرضة بسبع مرات لقول الأشياء من صنع الله الدرجة أنه من الواضح أن الأطفال لديهم مفهوم فطري عن الله، حتى بدون تدخل الكبار إنهم يعتمدون على تجربتهم اليومية للعالم المادي ويبنون مفهوم الله على أساس هذه التجربة"[3].

الخلاصة مما سبق:

يُلخّص لنا عالم الفيزياء الشهير جورج ليشتنبرغ ما سبق قائلًا " الإيمان بالله غريزة طبيعية للإنسان مثل السير على قدمين " [4]

هل هناك شواهد علمية تاريخية تدعم "فطرية التدين" وأنها مسألة متأصلة في الطبيعة البشرية؟!

قبل بضعة قرون حاول بعض اللادينين الملاحدة التقليل من فكرة الدين واعتبارها مجرد ظاهرة مستحدثة في التاريخ البشري، ومن أشهر من نظّروا لهذا الادعاء نجد فولتير الذي صرّح قائلًا:" الإنسانية

1 Why Would Anyone Believe in God? P21.

2By JIM NELSON BLACK THE DEATH OF EVOLUTION

3 نفس المصدر السابق

4 Georg Christoph Lichtenberg Translated ،Edited ،and with an introduction by Steven Tester p112

لا بد أن تكون قد عاشـــت قرونًا متطاولة في حياة ما دية خالصـــة قوامها الحرث، والنحت، والبناء، والحدادة، والنجارة قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات".[1]

وتزداد النبرة حدّة عندما نقرأ كلام جون جاك روسو الذي يقول:" إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض، حدا بهم جشعهم، وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم، إلى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين، ليخدعوا بها الجمهور، ويضللوا بها الفقراء".[2]

فهل هذا الكلام صحيح في ميزان البحث العلمي التاريخي أم أنه لا يغدو عن كونه مجرّد اعتراضات عاطفية إنشائية لا سلطان لها؟!

الجواب:

يقول الدكتور الشيخ عبد الله دراز في إطار كلامه عن ادعاءات فولتير ومن سار على نهجه: " لم يَنْقَضِ القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم؛ حيث كثرت الرحلات إلى خارج أوروبا، واكتشفت العوائد والعقائد والأساطير المختلفة، وتبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات الهمجية، وهكذا ظهر أنها أقدم في المجتمعات من كل حضارة ما دية، وأنها لم تقم على خداع الرؤساء وتضليل الدهاة، ولم ترتكز على أسباب طارئة أو ظروف خاصة، بل كانت تُعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس."[3] ويُتابع كلامه في نفس الصفحة قائلا:" ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معينة قد استحدثت في عصر ما ، أو أن يكون ثمة وضع خاص من أوضاع العبادات قد جاء مجاوبًا مصنوعًا، فذلك سائغ في العقل، بل واقع بالفعل، أما فكرة التدين في جوهرها فليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان."[4]

---

1 Voltaire Essal sur les moeurs. p. 14

2 Rousseau. Discours sur l'Origine et Fondement et le Fondement de l'inegalite parmi les hommes

3 الدين. للدكتور عبد الله دراز رحمه الله 82-83

4 المرجع السابق ص83

وتعليق الشيخ دراز على ادعاءات السفسطائيين من أمثال فولتير وروسو لم يأتي من فراغ خاصة لما نُلقي نظرة على شهادات المتخصصين المعتبرين في مجال الأديان والتاريخ القديم للحضارات البشرية فسنجد مثلا:

معجم «لاروس» للقرن العشرين:" إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية."

ويقول نفس المصدر كذلك:" إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عددٍ قليل جدًّا من الأفراد."[1]

وكتب بارتيلمي سانت هيلير:" هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا: ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاءا؟ مَنْ صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف بدآ؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخلود؟ هذه الأسئلة، لا توجد أمة، ولا شعب، ولا مجتمع، إلا وضع لها حلولاً جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحركة..."[2]

ويقول شاشاوان:" مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر.... علميًا، وصناعيا، واقتصاديا، واجتماعيا، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية، والجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء – عظامًا كنا أو متواضعين خيارًا كنا أو أشرارًا يعود إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية: لمَ وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم؟ وإلى التفكير في العلل الأولى أو الثانية، وفي حقوقنا وواجباتنا."[3]

ويضيف هنري برجسون:" لقد وُجِدَتْ وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة."[4]

---

1 Laresusse du XXeme siecle ،article: Religion

2.B. St. Hilaire ،Mahomet et le Coran ،p. XXXIV

3 Chachoin ،Evolution des Idees Religieuses ،p. 158

4.Henri Bergson les deux Sources de la Morale et de la Religion ،p. 105

ونجد كذلك عالم النفس الديني رالف ويلبر هود يقول:" الإنسان ليس مجرد حيوان ولكنه يختلف عن الوحش في النفس الخالدة والغريزة الدينية.. مفتاح علم الأحياء هو في تلك العبارة غير المحددة "الغريزة الدينية" بمجرد عرضه، افترض هوبكنز أنه لا داعي لقول أي شيء آخر... الاستنتاج هو أن الدين مبني بشكل طبيعي في البشر"[1]

ولا نستغرب كذلك من تصريح الفيلسوف الأمريكي ميلفيل ستيوارت عندما قال:" من المقبول الآن على نطاق واسع أن المعتقدات الروحية السائدة عالميا تشير إلى أن البشر يميلون بشكل طبيعي إلى المعتقد الروحي، البشر متشددون للإيمان بالكائنات الروحية بينما تجد هذه التصرفات الفطرية تعبيرا خاصا ثقافيا تماما كما هو الحال مع اللغة".[2]

بل هناك منهم من تجرّأ وصرّح بكلامٍ في غاية الأهمية مفاده [أن **التديّن نزعة خالدة!**] فنجد مثلا:

سالمون ريناك الذي يقول:" ليس أمام الديانات مستقبل غير محدود فحسب؛ بل لنا أن نكون على يقين من أنه سيبقى شيء منها أبدًا؛ ذلك لأنه سيبقى في الكون دائما أسرار ومجاهيل، ولأن العلم لن يحقق أبدًا مهمته على وجه الكمال"[3]

ويقول الدكتور ما كس نوردوه عن الشعور الديني:" هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين، كما يجده أعلى الناس تفكيرًا، وأعظمهم حدسًا، وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستتطور بتطورها، وستتجاوب دائما مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة"[4]

وسنختم ملف الرد على هذا الطرح السفسطائي بتعليق الأستاذ محمد فريد وجدي حين يقول في دائرة معارفه تعليقا على هذه الكلمة، في ما دة «دين»:" نعم، يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين؛ لا نها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان، بل إن هذا الميل سيزداد ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة عُلُوّ مداركه ونمو معارفه."

---

1 The Psychology of Religion by RALPH W. HOOD jr p56

2 VOLUME TWO SCIENCE AND RELIGION IN DIALOGUE P495

3.Salomon Reinach Orpheus ،p. 35–6

4.Max Nordau ،Reponse au Mercure de France ،Paris 1908

هل هناك شــواهد علمية تاريخية تثبت فطرية "التوحيد" وأن تعدد الآلهة ليس ســوى مرحلة لا حقة لهذا التوحيد؟!!

الجواب:

يشير الفيلسوف الألماني فريدريك شلينج في كتابه فلسفة الميثولوجيا:" أن التوحيد هو عقيدة البشر الأولى قاطبة وتعدد الآلهة يأتي في مرحلة تالية نتيجة فساد الأتباع"[1]

وننقل كذلك عن مجموعة من الباحثين في دورية الإنســان البدائي أن:" تاريخ الدين هو عبارة عن تحلل أو انحراف من صورة مبكرو خالصة ونقية من التوحيد"[2]

فالأصل بجميع الأديان هو التوحيد وما الشرك إلا مظهر من مظاهر انهيار الدين المتأخر، ومختصر هذا الحديث أن جميع الأمم دعوا إلى الإيمان بالله الواحد وهذا ما نجده في جذور نشأة كل دين.[3]

وقد وافق أستاذ الأنثروبولوجيا والديانات المقارنة في بريطانيا ادوين جيمس على ما وصل إليه أقرانه وقرر:" أن الإيمان بإله واحد مطلق هو الأصــل عند البشــرية والإنســان البدائي وهذه العقيدة التي عليها القبائل البدائية التي تعيش على جمع الثمار حتى يومنا هذا مثل قبائل Aboriginal في اســتراليا والأقزام في إفريقيا"[4]

التوحيد في الحضارة المصرية:

يقول البروفيســور والناقد للكتاب المقدس في جامعة ســانت ألان مينزيس:" هناك ترنيمة جميلة موجهة إلى النيل، الذي ينظر إليه أيضــا على أنه الإله الرئيســي والحاكم والمغذي والمعزي الجميع المخلوقات من هذه الترانيم وأمثالها، تم التوصــل إلى اســتنتاجات مهمة حول طبيعة أقدم الديانات المصرية. أي أن أولئك الذين كتبوا مثل هذه القطع لا بد أنهم تعرفوا على الإله الواحد الحقيقي وخاطبوه

1 F.W.SCHEILING ،Philosophy of Mythology

2 JM ،C. ،the Origin and Early History of Religion ،Primitive Man ،Vol. 2 ،P.45

3 McCabe ،J. the Growth of Religion: A Study of its Origin and Development ،Watts & Co. London ،p.898

4 E. O. James ،Freistoric religion: A study in prehistoric Archeology ،p. 206.

تحت هذه الأسماء المختلفة، حتى يكون الأصل الحقيقي للدين المصري هو التوحيد البدائي"[1]

ويُكمل في نفس الصفحة من كتابه:" يؤكد de la Rouge أن الديانة المصرية (توحيدية) في البداية، مع الإيمان النبيل بوحدة الله الأسمى وبصفاته كخالق للإنسان وشرعه، تراجعت عن هذا المنصب ونمت أكثر فأكثر في الشرك.... لقد مضى أكثر من 5000 عام منذ أن بدأت الترنيمة في وادي النيل لوحدة الله وخلود الروح، ونجد مصر وصلت في العصور الأخيرة أكثر إلى الشرك بالله عمدًا، من الواضح أن هذا هو الجزء الأسمى من الدين المصري قديم"

وقال أحد أساتذة المصريات في جامعة أوكسفورد:" من ناحية أخرى، كان هناك فرق كبير وأساسي بين آتون وسيميتي بعل، كان التوحيد في خون آتون هو وحدة الوجود ونتيجة لهذا، الإله الذي عبده كان إله الكون"[2]

ويُؤكد ما سبق فليندرز بيتري عالم المصريات بجامعة لندن إذ كتب يقول:" أينما يمكننا تتبع الشرك بالآلهة إلى مراحله الأولى نجد أنه ناتج عن اتحادات التوحيد. في مصر تم العثور على أوزوريس وإيزيس وحورس (المعروفين بالثالوث) في البداية كوحدات منفصلة في أماكن مختلفة، وإيزيس كإلهة عذراء، وحورس كإله قائم بذاته. يبدو أن لكل مدينة إلهًا واحدًا فقط، أضيف إليه الآخرون. وبالمثل في بابل كان لكل مدينة عظيمة إلهها الأعلى. وتوليفاتها وتحولاتها من أجل تشكيلها" مما يشير أنهم كانوا منفصلين كل منهم قائم بذاته ولاحقا أضيفوا إلى بعضهم"[3]

التوحيد في حضارة المايا:

يقول عالم الآثار والمستكشف الإسباني جون إيرك سيدني:" حدد كُتّاب المايا الاستعماريين الفترة التي كانت سائدة على أنها فترة لم تكن فيها عبادة الأصنام معروفة، وصلت الطبقة الحاكمة في المايا إلى مرحلة أقرب إلى التوحيد منها إلى الشرك"[4]

---

1 HISTORY OF RELIGIONBY ALLAN MENZIES. P142

2 THE RELIGIONS OF ANCIENT EGYPT AND BABYLONIA BY A. H. SAYCE ،D.D. ،LL.D.…P98

3 THE RELIGION OF RAM ANCIENT EGYPT By W. M. FLINDERS PETRIE…P4

4 MAYA history And religion P27

ويوضّح لنا في موضعٍ آخر من كتابه حول مسألة عبادتهم للإله [إتزام] قائلا:" إن مفهوم Itzam Na هو حقًا مفهوم مهيب. يدرك المرء لماذا جاء حكام المايا في وقت ما ليعتبروه الإله العظيم الوحيد، لأنه يبدو كما لو أن المايا في الفترة الكلاسيكية قد طورت عبادة Itzam Na إلى شيء قريب من التوحيد، مع جميع الكائنات الأخرى، مثل الشمس والقمر، وربما الشاك، وما إلى ذلك، مثل خدام [إيتزام نا] أو احتفالاته"[1]

التوحيد في الصين القديمة:

يقول جون روس في كتابه الشهير **الدين الأصلي للصين**:" إن نقاء التوحيد في أقدم العصور المسجلة في الصين (عندما كانت هناك مذابح، ولكن لم يكن هناك صورة ولا معبد)، والمثل العليا النبيلة المنصوص عليها في الأخلاق الصينية البدائية، هي ذات طابع رائع لدرجة أنها تتطلب المزيد من التفاصيل الدقيقة والخاصة"[2]

ويقول كذلك في موضعٍ آخر:" لم يكن الدين الصيني الأصلي، على الرغم من توحيده، هو الهينوثانية. آمن الصينيون وعبدوا مجموعة من الآلهة الدنيا من مختلف الدرجات التابعة للإله الأعلى. كما سيتم شرحه فيما بعد، فقد عبدوا هؤلاء كخدام لله، دون أدنى إحساس بالتناقض. كان يُنظر إلى هذه الآلهة الأقل شأنًا بقدر ما اعتبر الرومان الكاثوليك [قديسين] "[3]

وصرّح أيضًا:" إن الاختلاف، الذي يصل إلى حد التناقض، الموجود بين التوحيد الخالص في الفترة البدائية القديمة وثنائية العصور التالية هو دليل قوي على صحة الشهادة على هذا التوحيد. عادة ما يتم إجراء التغييرات التحريرية من أجل مطابقة طابع الماضي مع طابع زمن المحرر، وعدم وضع ذلك الماضي في تناقض واضح مع حاضره"[4]

شهادات إضافية من علماء التاريخ نختم بها الإجابة عن هذا السؤال:

---

1 نفس المصدر السابق ص233

2 the original religion of china by john ross d.d P5

3 نفس المصدر السابق ص21

4 نفس المصدر السابق ص59

يقول عالم اللاهوت الأمريكي جريجوري بويد:" وقد جادل عدد من العلماء ذوي السمعة الطيبة للرأي القائل أن البشرية في عصور ما قبل التاريخ كانت تميل إلى التوحيد من الأدلة الأثرية، على سبيل المثال، جادل عالم الآشوريات وعالم السومريين الشهير ستيفن لا نغدون بأنه وبشكل عام كلما كان النقش أقدم كانت دلائل تشير إلى التوحيد. كان السومريون يؤمنون في الأصل بوجود إله واحد سام يحمل اسم Heaven sky. وبالمثل، ادعى ليوبولد فون شرودر وآخرون بأن علم الآثار يشير إلى أن وراء كل صور الشرك الهندوسي والجرماني هو الإيمان بسيادة إله سماء واحد فريد – الله وقد جادل آخرون في الأمر نفسه فيما يتعلق بتعدد الآلهة في مصر القديمة، فضلاً عن تعدد الآلهة في اليونان القديمة والهند وحتى الصين"[1]

وقال أرفيند شارما أستاذ الأديان المقارنة في جامعة ما كجيل:" وفقا لفيلهلم شميدت يمثل التوحيد التصور البشري الأول عن الله بدلاً من الإدراك الأكثر تطورًا، هذه النظرية الخاصة بـ urmonotheismus أو التوحيد الأصلي اعتبرت أن الشرك السائد الواضح جدًا في [الأديان البدائية] يمثل مظهر من مظاهر انهيار لهذا التوحيد الأصلي، أيّد لا ندرو_لانغ وجهة النظر هذه ومعظم العلماء اليوم يقبلونها على أنها حقيقة أنه من بين العديد من الشعوب البدائية أو القديمة مثل التي موجودة في إفريقيا وأستراليا وبين الصيادين في تييرا ديل فويغو، يجد المرء دليلاً واضحا لديهم على مقوم إله واحد سامٍ هو خالق الكون ومنظمه"[2]

1 gregory boyd "god at war" P124

2 A Primal Perspective on the Philosophy of Religion P27

الرد على أشهر اعتراضات الملاحدة واللادينين الموجهة نحو دليل الفطرة

ما الرد على الاعتراض القائل بأن وجود الله والدين ليسا سوى وسيلة مؤقتة ابتكرها الإنسان البدائي ليملأ بها الفجوات المعرفية تجاه الظواهر المحيطة به ويُعطي لنفسه شعور الأمان بسبب كثرة الأخطار التي كان عليه مواجهتها آنذاك؟؟

الجواب:

بغضِّ النظر عن أن هذا الاعتراض مجرّد كلام إنشائي ليس مدعومًا بدليل تجريبي صريح ولا دليلٍ خبريٍّ توارثته الأجيال فيما بينها، إلا أنّنا سنجد أن هذا الطرح المتهافت أوّل ما سيتصادم معه هي الأوثان التي يُقدسها دعاة المادية ويظهر ذلك في:

تناقضه مع نظرية الارتقاء والانتخاب الطبيعي: من بديهيات نظرية التطور أن البشر لم يكونوا في الماضي على نفس الحالة التي هم عليها الآن سواء من ناحية القدرات الدماغية أو الجسدية، فحتى يصلوا إلى ما هم عليه الآن مرّوا بمراحل عديدة من عمليات الحذف والحشر والمُلخّصة في عبارة " **الانتخاب الطبيعي**".

فالإنسان البدائي أو شبه الإنسان قام بابتكار عدّة وسائل وطرق قديمة تمكّنه من النجاة والتأقلم في محيطه من وسائل صيد وزراعة وغيرهما، ونفس الكلام ينطبق على الناحية النفسية فحسب التطوريين فإن الدين ومسألة الخالق ونظرة الإنسان البدائي للظواهر الطبيعية والطقوس التي كان يمارسها هي كلها في الأخير مجرد وسائل مؤقتة ابتكرها (الإنسان البدائي) ليسُدّ الفراغ المعرفي والنفسي الذي كان يعاني منه في تلك الحقبة الزمنية القديمة...وهنا تبدأ المشاكل التي ستعصف بهذا الطرح المتهافت وهي: إذا كان الانتخاب الطبيعي من المُفترض أنه بعد آلاف السنين يكون قد حسّن من قدرات الدماغ البشري بحيث يظهر ذلك في تخلّي البشر عن وسائلهم القديمة والبدائية في تسيير أمور معيشتهم واستبدالها بالنهضة العلمية والتطور الصناعي، من دون نسيان تطور نظرتهم لما حولهم من الظواهر الطبيعية وبداية محاولات تفسيرها عن طريق بضعة حروف وأرقام، وإذا كان من المفترض كذلك أنه حسّن من قدراتهم الجسدية بحيث كانوا في الماضي البعيد أقرب لا جدادهم من القردة الإفريقية والآن تغيرت أجسادهم لتناسب الظروف الحالية.....

❖ فلماذا إذًا عجز عن إقصاء فكرة بدائية بسيطة (حسب اعتقادهم) مثل فكرة الإيمان بوجود خالق لهذا العالم وضرورة الخضوع له والتقرّب إليه بالطقوس والأضاحي؟؟

❖ لماذا بعد مرور آلاف السنين نجح التطوّر وعلى رأسه آلية الانتخاب الطبيعي في تحسين قدرات الدماغ البشري حيث أصبح يرى الطبيعة بنظرة أكثر علمية بعيدًا عن الأساطير والخيالات ولكنه فجأةً توقف عند فكرة الإيمان بالله وضرورة عبادته ولم يستطع حذفها من الدماغ البشري بالرغم من أنهم -المجتمع العلمي الحالي- لم يعودوا في حاجةٍ إلى استعمال هذه المصطلحات الميتافيزيقية (الله، الخالق، الملائكة...الخ) في كتبهم وأوراقهم العلمية التي تحاول تفسير الظواهر المادية؟؟

❖ لماذا المتدينون يُمثّلون النسبة الساحقة من التعداد البشري مقارنة باللادينين بمختلف طوائفهم بل (هم في تزايد سريع)[1] بينما النتيجة المنتظرة كانت أن يُقدم لنا الانتخاب الطبيعي مجتمعات بشرية لا تؤمن سوى بما أثبته العلم التجريبي وتنظر للعالم بنظرة ما دية بحتة؟؟

ما الرد على الترقيعة التي خرج بها بعض الملحدين من كون التطور الداروينى هو من صمم أدمغتنا بطريقة معينة، بحيث تكون لدينا ميول دينية أو روحية طبيعية لهذا الإيمان الغريزي؟!

يظهر ذلك في تصريح بيتر كلارك الأستاذ الفخري في علم الاجتماع والدين حيث يقول:" ما الذي جعل الدين شديد المرونة؟ التفسير الأكثر شيوعًا الذي اقترحه العلماء هو أن التطور الداروينى صمم أدمغتنا بطريقة ما بحيث يكون لدينا ميول دينية أو روحية طبيعية."[2]

الجواب:

الأمر أصبح مثيرا للشفقة وتجاوز مرحلة النقاش العلمي الجاد إلى تهريجٍ صريح واستخفاف بعقول الناس، فبدل الإذعان للحق الظاهر أكثر من سطوع شمس النهار يلجأ الملحدون باختلاف مستوياتهم الأكاديمية إلى تبريرات فاشلة بل عند التدقيق يكتشف الإنسان العاقل أن تبريراتهم هذه سرعان ما تنقلب إلى إلزامات إضافية ضدهم ويظهر ذلك في:

1 https://www.pewresearch.org/religion/2015/04/02/religious-projections-2010-2050 /

2 ALL IN THE MIND "does neuroscience challenge faith?" P.196

أولا:

هذه الادعاءات مجرّد كلام إنشـائي لا برهان لهم به وعبارة عن ممارسـة صـريحة لمغالطة إله الفجوات التي لا ينفكّ مدّعو العقلانية هؤلاء أن يرموا بها الطرف المؤمن! فأي شـخص عاقلٍ حياديٍ سـيكون له الحق في مُسـائلتهم حول هذا الترقيع وأن يطلب منهم براهين قائمة المنهج العلمي التجريبي الذي هو قائمٌ بدوره على التجربة والملاحظة من أجل إثبات صـحّة ما يدّعون، فهل يملكون هذا النوع من الادلة في جعبتهم؟!

الإجابة لن تكون بِلا فقط، بل سيتعدى الأمر إلى أن العلم التجريبي بحد ذاته يهدم هذا الهراء!

فنجد أن جرّاح الأعصاب والدكتور الكندي الشهري وايلدر بنفيلد يصرّح بالآتي:" لا توجد منطقة في القشرة الدماغية يمكن من خلال تحفيزها كهربائيـًا إحداث إيمان أو قرارات لدى المريض "[1]

ثانيا:

أنه لو سـلّمنا جدلا بصـحة هذا الادعاء فإن الأمور لن تكون في صـالح الجانب الإلحادي كما يتخيّل دراويشـهم بل سـيكون لدينا دليل إضـافي يدعم فطرية الإيمان بالله والتديّن وأن الإلحاد هو مجرّد تمرّد وشذوذ عن الحالة الطبيعة الأصلية التي خُلقت وفقها أدمغتنا!

يقول بول كوبان بروفيسور الفلسفة التحيلية في جامعة بالم بيتش أتلانتيك:" يمكننا قلب الحجة رأسًا على عقب: إذا كان الله موجودا وقد صـممنا للتواصـل معه، فنحن في الواقع نعمل بشـكل صـحيح عندما نتوجه نحو الإيمان بالله. يمكننا أن نتفق على أن العمليات الطبيعية / الفيزيائية تسـاهم جزئيا في الالتزام بالله. في هذه الحالة، يمكن للحجة الأسـاسـية لدوكينز ودينيت أن تدعم في الواقع فكرة أن المؤمنين الدينيين يعملون بشكل لا ئق ومنظم."[2]

باختصارٍ شديد، سواءٌ قالوا أن سبب إيماننا بالله هو جين أو إنزيم أو منطقة معينة في القشرة الدماغية (وبغض النظر عن كونها إدعاءات عارية من الدليل العلمي التجريبي) فإن الحقيقة التي يحاولون التهرّب

1 The mystery of the mind ،Princeton legacy library 1978 ،Page 77

2 IS GOD A MORAL MONSTER? “making sense of the old testament god” P.30

منها ستبقى شامخةً في وجوههم ألا وهي: الإيمان بالله وبأصالة التديّن هما الأصل، والإلحاد واللّادينية هما طفيليان طفحا في الصفحات المتأخرة من تاريخنا البشري!

ما الرد على الادعاء القائل بأن الدين منشأه عبادة القبائل البدائية لما يُعرف بالطوطم؟؟

أولا لنعرف معنى مصطلح **الطوطم** حتى تضّح الصورة للقارئ: هو عبارة عن وحدة اللقب المشترك بين أفراد العشائر، وهو لقب يُشتق في الغالب من اسم حيوان، أو نبات، وفي النادر من اسم عنصر جمادي، أو كوكب من الكواكب، وتعتقد العشيرة أنها لها بمسمى هذا الاسم صلة قديمة، حيوية أو روحية – إما على أنها تسلسلت عنه، أو أنه كان حليفا أو حارسًا لجدها الأعلى، أو نحو ذلك – ولذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها، وأدواتها، وأسلحتها، ورایاتها، بل يتخذ الأفراد منه وشما يطبعونه على أجسامهم، كأنه بطاقة شخصية لتحقيق انتساب كل منهم إلى عشيرته، وهو نظام معروف في الشعوب القديمة المصرية، والإثيوبية، والعربية، واليونانية، والرومانية، والغالية وتوجد آثار منه في الأساطير الشعبية في أوروبا الآن، ولا يزال منتشرا في القبائل غير المتحضرة في أمريكا، وأستراليا.[1]

وأشهر من تبنى هذه النظرية هما **إيميل دوركايم** و**هربرت سبنسر**.

الجواب:

هذه النظرية أصبحت محط سخرية في الأوساط العلمية وبين المختصين في دراسة تاريخ نشأة الأديان والحضارات البشرية، وتجنبًا للخوض في الرد التفصيلي لا ساسات هذه الفكرة المتهافتة حتى لا نغوص بالقارئ في تفاصيل هو في غنى عنها، سنكتفي فقط بنقل بعض الاقتباسات والآراء لا هل الاختصاص والتي ستكون الفيصل بيننا وبين من يزال متعلقا بهذه القشة الضعيفة:

فطبقًا لا ندرو لا نج:" فهناك قارات وحضارات وأمم بأسرها لا تعرف شيئا عن عبادة الطوطم وتقديس الآباء بل وتوجد لديهم فكرة التوحيد بصورة واضحة"[2]

1 الدين. عبد الله دراز 146-147

2 Andrew Lang (1968) the making of religion.

وها هو العالم الشهير [شميديت] الذي بعد دراسته للأقزام وسكان أستراليا الجنوبية الشرقية وصل إلى نتيجة مفادها:" فكرة **الإله الأعظم** توجد عند جميع الشعوب الذين يُعدوّن من أقدم الأجناس البشرية"[1]

ويقول الباحث الألماني ويلهلم شميت " إن زعم هربرت سبنسر بأن البشر الأوائل قدسوا آباءهم وأجدادهم ثم عبدوهم وفق تراتب هرمي حتى ظهرت الآلهة والأديان هو تصور خاطئ، فالعالم القديم كانت لديه صورة نقية عن الإله الواحد، ومع تقدم الحضارات زادت فكرة الإله تعقيدا حيث نسبت له الزوجة، ثم تعددت الآلهة، حيث لم توجد عبادة الأسلاف في الكثير من قبائل وسط أفريقيا وجنوب شرق أستراليا وغرب أمريكا."[2]

ولذلك عدّ علماء هذا الفن أن:" نظام الطوطم هو نظام مدني، قضائي، اقتصادي، أكثر منه دينيّ"[3]

ويضيف العالم لا نغدون:" أن ادعاء نشوء الدين اليهودي (الذي يُعتبر عند الغرب أصل الأديان التوحيدية) من أصل طوطمي هو ادعاء كاذب"[4]

بل العجيب أكثر أننا سنجد دوركايم (أشهر من تبنى نظرية الطوطم) ينقل في كتبه ما يُصادم نظريته بل يهدمها عن بُكرة أبيها!! فمثلا نجده يعترف:" أن عددًا من قبائل أستراليا قد وصلوا إلى فكرة الإله الأعلى أو «الإله الأحد»، وأنه كائن أزلي أبدي تسير الشمس والقمر والنجوم بأمره، وأنه هو الذي يثير البرق، ويرسل الصواعق، وإليه يتوجه في الاستسقاء وفي طلب الصحو، وهو الذي خلق الحيوان والنبات، وصنع الإنسان من الطين ونفخ فيه الروح، وهو الذي عَلَّمَ الإنسان البيان، وألهمه الصناعات، وشرع له العبادات، وهو الذي يقضي في النَّاس بعد الموت فيميز بين المحسن والمسيء."[5] ثم يقرر أيضًا: "أن هذه العقائد كلها ليست مقتبسة من أوروبا كما ظن تيلور، بل إنها قديمة في هذه القبائل قبل أن يصل إليها

1.Schmidt. ouv. Cit ،p. 30
2 THE ORIGIN AND GROWTH OF RELIGION ،61
3 Vou H. Hubert ،Introduction a la traduction de Chantepie de la Sussake. Manuel.d'Histoire des religions. p. XXXIx
4 The scotsman ،18 November 1936
5.Durkheim ،cite ،p. 412

المبشـــرون الأوروبيون، وأنهم يعبرون عن هذه العقائد بعبادات حقيقية، تُرفع فيها الأيدي إلى الســـماء بالدعاء."[1]

فماذا كان رد فعل دوركايم تجاه هذه الحقائق التي تصـادم نظريته الطوطمية والتي تم التصـريح بها في كتابه بكامل إرادته؟! ضـــرب بها عرض الحائط وعمد إلى بعض مظاهر المجون واللهو الفاحش التي كانت تمارســه بعض القبائل في حفلات فيها كل شــيء إلا الدين والعبادة بل يمكن اعتبارها صــورا من صــور التمرّد على النظام الأخلاقي للقبيلة، وجعل منها مرجعا لنسـتقي منه معنى الدين وأصـل نشـوئه! ولعلنا لن نجد أحســن من الدكتور عبد الله دراز في كتابه الممتع " **الدين** " وهو يصــف لنا تدليســات دوركايم الغير أمينة قائلا:" فإذا كان من المتفق عليه أن الدين يكاد يسـيطر على كل شــيء في حياة الجماعات الفطرية، أفلا يكون من أشــنع المخالفات القانونية أن تلتمس الظاهرة الدينية عند هذه الشــعوب في تلك الحالة النادرة، وذلك المظهر الاســتثنائي (يقصــد مظاهر التمرّد على نظام القبيلة من مجون وأفعال فاحشــة) الذي لا يتكرر في مجرى حياتهم العامة، وأن تهمل ما وراء ذلك من معتقدات وعبادات، وأخلاق وعادات، يتألف منها هيكل الحياة الشعبية؟ لئن كان الفيلسوف (يقصد دوركايم) قد أصاب حين طلب إلينا أن نميز بين لونين متباينين في حياة الجماعة الفطرية، لقد عكس الوضع بعد ذلك، حيث جعل الشــاذ منهما قاعدة للغالب، وأســاء الاختيار، حيث أخذ اللون الإباحي اللاديني، فجعل منه حقيقة الدين."[2]

ولذلك لن نسـتغرب إذا وجدنا أنصـار هذه النظرية (نظرية الطوطم وأن الدين يمكن تفسـيره انطلاقا من الطبائع الاجتماعية للقبائل البدائية) أنفسـهم يعترفون صـراحة بأن:" إقامة برهان شـافٍ على الطابع الاجتماعي للدين لا يزال أمرًا غير ممكن"[3]

---

1 المصدر السابق ص412

2 الدين. للدكتور عبد الله دراز ص152

3 Une demonstration Pleinement satisfaisante du caractere social de la religion n’est. pas encore posisble. (Hubert ،oure. cite ،p. XXVII)

دليل الخلق والإيجاد

ما معنى دليل الخلق والإيجاد؟ أو ما هو تعريفه؟

الجواب:

هو ما يقتضيه حدوث الأشياء المشاهدة من ضرورة أن يكون لها موجد؛ لاستحالة أن يكون وجودها وانتقالها من العدم إلى الوجود ذاتيًا من غير سبب.

تعريف آخر: هو الاستدلال بوجود المخلوق على وجود الخالق ووجوب عبادته.

على ما ذا يُبنى هذا الدليل؟

الجواب:

هذا الدليل مبني على مقدّمتين ونتيجة:

المقدّمة الأولى: المخلوقات وُجدت بعد أن لم تكن موجودة.

المقدّمة الثانية: كل ما وُجد بعد أن لم يكن موجودًا فلا بدّ له من خالق.

النتيجة: إذن، المخلوقات لها خالق.

كيف نستدل على مقدماته؟

الجواب:

الاستدلال على المقدمة الأولى: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يستدل به على المحدث... فنفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس وبالضرورة. والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وذلك معلوم بالحس أو بالضرورة: إما بإخبار يفيد العلم الضروري، أو غير ذلك من العلوم الضرورية. وحدوث الإنسان من المني كحدوث الثمار من الأشجار، وحدوث النبات من الأرض، وأمثال ذلك. ومن المعلوم بالحس أن نفس الثمرة حادثة كائنة بعد أن لم تكن، وكذلك الإنسان وغيره.

كما قال تعالى: { أَوَلا يَذكُرُ الإنسانُ أَنَّا خَلَقناهُ مِن قَبلُ وَلَم يَكُ شَيئًا } [مريم: 67] { قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيّنٌ وَقَد خَلَقتُكَ مِن قَبلُ وَلَم تَكُ شيئًا } [مريم: 9] "[1]

وليس شرطا أن نتتبع كل الحوادث في هذا الكون حتى نشهد ظهورها بأعيننا وإلا فإن هناك حوادث علمنا بضرورة خلقها بعد أن لم تكن استنادا على بعض العلامات والآثار البادية عليها ولم نقل بحدوثها فقط لا ننا شاهدنا عملية تخليقها ولنا في نشأة الكون وولادة النجوم والظهور الأول لجنس الكائنات الحية خير مثال على ذلك.

الاستدلال على المقدمة الثانية: المقدمة الثانية كما هو واضح فهي قائمة على ما يسمى بقانون السببية أو بديهة السببية وهي أحد أهم البديهيات التي تقوم عليها معارف البشر وعلومهم وحياتهم بل هي عبارة عن دستور صارم لا تنحرف عنه المخلوقات التي لها بداية بعد عدمها، يقول الفيلسوف لا يبنتس: "إن تفكيرنا قائم على مبدأين عظيمين: مبدأ عدم التناقض الذي بفضله نحكم على الشيء الذي ينجم عنه تناقض أنه خطأ، ونحكم على الشيء بالصحة إذا كان مقابلا للخطأ أو نقيضه، وبفضل مبدأ العلة الكافية نقرر أنه لا توجد حقيقة صادقة أو موجودة ولا تقرير صحيح حتى تكون له علة كافية"[2]

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية فطرية وأهمية قانون السببية قائلا:" حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل وهذا أمر مركوز في بني آدم حتى الصبيان، لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني؟ فقيل: ما ضربك أحد، لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل. ولهذا لو جوز مجوز أن يحدث كتابة أو بناء أو غراس ونحو ذلك من غير محدث لذلك، لكان عند العقلاء إما مجنونا وإما مسفسطًا كالمنكر للعلوم البديهية والمعارف الضرورية، وكذلك معلوم أنه لم يحدث نفسه، فإن كان معدومًا قبل حدوثه لم يكن شيئا فيمتنع أن يحدث غيره فضلا عن أن يحدث نفسه"[3]

---

1 درء تعارض العقل والنقل: (7/ 209 – 210)

2 Gotfried Leibniz ،The Monadology and Other Philosophical Writings ،P: 235

3 الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح(3 / 203)

هل جاء ذِكْر هذا الدليل في القرآن الكريم؟

الجواب:

ورد ذِكر هذا الدليل بمقدماته في القرآن الكريم على شكل صِيغ متعددة، كل صيغة تصُب في قالبٍ واحد وهو سهولة الطرح ووضوحه والتركيبة البسيطة لمقدمات الدليل بشكلٍ يفهمها العامي والفقيه والعالِم على حدٍّ سواء. ومن أمثلة وُرود دليل الخلق والإيجاد في القرآن نجد آية سورة الطور رقم 35 حيث يقول رب العِزّة: { **أم خُلِقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون** } وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لا نكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لا نفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم.

فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى.[1]

ونجد كذلك قوله تعالى: { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** } [آل عمران: 190]. فختم تعالى هذه السورة (آل عمران) بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدير وقدوس سلام غني عن العالمين، حتى يكون إيمانهم مستندا إلى اليقين لا إلى التقليد[2]. والآيات الدالة على هذا الباب كثيرة جدا ويتعذّر طرحها كلّها في هذا البحث وما طرحناه سابقا كان على سبيل المثال لا الحصر.

---

1 تفسير السعدي صفحة 963

2 تفسير القرطبي 5/ 465

قد يعترض علينا القارئ قائلاً: كيف تستشهدون على من لا يؤمن لا بخالق الكون ولا بمنزل الأديان والكتب بآيات من القرآن العظيم؟

الجواب:

إن استشهادنا على الملحد بالنصوص الشرعية ليس بهدف إلزامه بقُدُسيّتها وكونها وحيًا سماويا بل نحن نستشهد عليه بالأدلة العقلية التي تتضمنها هذه الآيات ونُعطيه انطباعا بأن ديننا ليس قائما على العاطفة وأحلام اليقظة! بل هو بكل مصادر تشريعه التي يتقدمها القرآن غنيٌّ بالحجج والبراهين الفطرية والعقلية والحسية التي ترد على المُلحد والمشرك وأي مِلّة ضالة مِصداقا لقوله تعالى: { **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** } [الفرقان: 33].

ثبت لنا ممّا سبق أن دليل الخلق والإيجاد يُطبّق على الحوادث التي ظهرت بعد أن لم تكن، فما هو دليلكم على أن الكون مخلوق وليس بأزلي؟

الجواب:

تنقسم أدلة حدوث الكون إلى أدلة عقلية وحسية تجريبية وهي كالآتي:

الدليل العقلي: دلالة خضوع أجزاء الكون للسببية:

وهذه من أقوى البراهين العقلية اليقينية التي تثبت للمتأمل استحالة أن يكون هذا الكون أزليا لا بداية له، ونبدأ بتقرير مهم مفاده أن من أهم الصفات المرافقة للأزلية هو اكتفاء الشيء القديم[1] بذاته وأن يكون قيوما بنفسه متنزها عن النقائص غير مفتقر لا ي سبب يكمل عجزه، وقد يطرح القارئ سؤالا مهما ويقول: من أين لكم بأن هذه أهم صفات الشيء الأزلي وما المانع من عدم تحققها مع بقائه أزليا؟

فنقول: قد أجمع العقلاء على ضرورة أن يسبق السبب المُسبَبْ زمانيا ووجوديا، فالنار على سبيل المثال لا تشتعل وتظهر للوجود حتى تسبقها أسباب اشتعالها من أوكسيجين وحطب وغيرها زمانيا ووجوديا، ومنه لو كان الشيء القديم الأزلي { الذي طبقا للتعريف لا بداية له وبالتالي لا يسبق وجوده شيء } مفتقرا لا ي سبب مهما كانت طبيعته للزم من ذلك ضرورة أن يسبق السبب ذاك الشيء الأزلي ويتقدم عليه زمانيا ووجوديا، وهنا وقعنا في فخ التناقض لا ننا قبل قليل عرفنا الأزلي بكونه الشيء الذي

1 – كلمة قديم هي مرادفة لكلمة أزلي وأي المصطلحين استعملنا نكون مصيبين بإذن الله

لا بداية له ولا يسبق وجوده أحد فكيف إذًا نقول بأنه خاضع لا سباب تسبق ظهوره حتى يسد بها نقصه؟! فما خالف التعريف المُجمَع عليه لا نحتاج جهدا كبيرًا في إثبات خطأه وتناقضه.

وهنا مربط الفرس فنسأل: هل وجدنا شيئا من هذا الكون لا تتغير صفاته ولا تزول بزوال أسباب وجودها، فنعلم بذلك أنه لا يحتاج إلى شيء في وجوده؟؟ هل وجدنا شيئا ليس له حدود يعجز بعدها ولا يحتاج إلى الأسباب ليتصف بصفة لم تكن من صفاته، وإنما هو قادر دائماً على الاتصاف بكل صفة وقادر كذلك على فعل كل شيء بدون الحاجة لامتلاك أسباب ذلك الفعل؟؟

الإجابة قطعا لا لأن العامي البسيط والفيزيائي الفذ كلاهما يشتركان في معرفة حقيقة لا يمكن إنكارها هي أن الكون بكل أجزائه مقيد وخاضع لعدد مهول من الأسباب التي لا يمكنه الحياد عنها ولا يتحقق له استقرار ولا انتظام إلا بها وما نقصده بهذه الأسباب ما هو إلا القوانين الطبيعية المتحكمة في كل أجزاء الكون من الذرة إلى المجرة حتى ولو لم يدركها الشخص البسيط بنفس الكينونة التي يعرفها الفيزيائي المتمرس.

ولذلك كان خضوع أجزاء الكون للقوانين الفيزيائية وتغيرها وفقا لتلك القوانين دليلاً على حدوثها. لأن التغير ينافي القيام بالنفس إذ إن التغير هو فقد الصفة لفقد سبب قيامها ولو عاد السبب لعادت الصفة، والقيام بالنفس هو قيام الصفات بدون حاجة إلى أي سبب يقيمها، وكذلك التغير وفقا للقوانين ينافي الأزلية لأن الأزلي هو الذي « ليس قبله شيء » ومن كان ليس قبله شيء فهو قائم به مستغن عن كل سبب وعن كل شيء في قيامه؛ بخلاف الحادث المحتاج في وجوده إلى أسباب تسبقه، والذي يتغير وجوده بتغير تلك الأسباب وجوداً وعدما، فمثل هذا الشيء قد سبق وجوده أسباب قيامه ولا بد، فيجب أن يكون «قبله شيء »، فهو إذا حادث وليس أزليا ويكون الدليل على حدوثه هو خضوعه للأسباب أو للقوانين الفيزيائية وتغيره وفقا لحكمها.[1]

ونختم هذا الدليل بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي قال:" الموجودات إما أن تكون كلها حادثة أو كلها قديمة أو منها الحادث والقديم، فالأول ممتنع لأن الحوادث تفتقر لمن يحدثها، ومحدث الموجودات لا يكون معدوما وهذا معلوم بالضرورة، والثاني ممتنع أيضا لأنه خلاف

1 كتاب اختراق عقل للدكتور أحمد إبراهيم ص58

المشاهد والضرورة الحسية، فلو كانت الموجودات كلها قديمة لما طرأ عليها التغير أو الفناء، فثبت إذاً أن الموجودات تنقسم لقديم ومحدث، ولا بد للمُحدَث من مُحدِث قديم "[1]

الأدلة العلمية على حدوث الكون:

القانون الثاني للديناميكا الحرارية: ينص القانون الثاني للديناميكا الحرارية على أنّ الإنتروبيا (الاضطراب) الكلية لنظامٍ معزول بالكامل لا تتناقص وإنما تزداد أو تبقى ثابتة، وبعبارةٍ أخرى فإنّ العمليات الديناميكية الحرارية تؤثّر في أي نظام مسببةً اضطرابه.[2]

ولتبسيط هذا القانون: فأنت لو كان عندك كوب ماء ساخن في الغرفة فإن الحرارة ستنتقل من الماء الساخن إلى جو الغرفة حتى تعادل درجة حرارة الغرفة درجة حرارة الكوب، وهكذا يسري هذا القانون على كل شيء في الكون وفي لحظة ما ستتعادل حرارة كل شيء في الكون وعند هذه اللحظة سيحدث الموت الحراري للكون Thermal Death of Universe

ولو كان الكون أزليا لكان المفترض أن يصبح الكون متوقف الآن -ميت حراريا-، لكن في الواقع الكون الآن في حالة أقل من الانتروبي القصوى، ولم يصل للموت الحراري بعد إذن هو ليس أزليا، وله بداية ثابتة ظهر معها الزمان والمكان.[3]

معادلات نسبية أينشتاين العامة: في نوفمبر 1915، حقق أينشتاين واحدًا من أكثر الاختراقات الفكرية عمقًا في تاريخ الفيزياء عندما طور الآثار الكاملة لا فكاره حول الجاذبية في نظريته العامة للنسبية (نُشرت عام 1916) انطلاقًا من مفهوم إسحاق نيوتن للجاذبية كقوة تنتقل على الفور عبر مسافات، افترض أينشتاين أن الجاذبية تعمل بصفة ضعيفة كقوة وبصفة قوية كحقل يشوه المكان والزمان حول الأجسام الضخمة.[4]

---

1 درء تعارض العقل والنقل (3/ 104)

2 Amy Dusto (28/12/2020) ،"Second Law of Thermodynamics: Definition ،Equation & Examples" SCIENCING ،Retrieved 6/10/2021. Edited

3 كتاب تخلص من إلحادك للدكتور هيثم طلعت ص18

4 للكاتب لي موهون على موقع ناسا الرسمي تحت عنوان (أينشتاين والنسبية العامة) بتاريخ 15 جوان 2020

يقول عالم الفيزياء الكندي هيو روس:" أوَّل دليل نظري (قوانين مبنية على الفيزياء والرِّياضيات النَّظرية) على خلق الكون (حُدُوث الكون) يرجع إلى عام 1916م، حين لا حظ ألبرت أينشتاين أنَّ مُعادلاته الميدانية للنِّسبية العامَّة تنبَّأت بكونٍ يتَّسِع. وعندما أدرك أنَّ هذا التَّوسُّع يلزم منه (أن يكون للكون) بداية؛ عدَّل أينشتاين نظريَّته لتتماشى مع الحكمة الشائعة في عصره، ألَا وهي: الاعتقاد بأزلية الكون"[1]

ويدعم ذلك ما ذكره الفيزيائي الفلكي (جوليرمو جونزاليس) والفيلسوف (جاي ريتشاردز) في كتابهما الرَّائع (الكوكب المُميَّز) كالآتي: "تنبَّأت نظرية النِّسبية العامَّة لا ينشتاين بالفعل بأنَّ الكون كان إمَّا في توسُّع أو انكماش. ولسوء الحظ، وجد أينشتاين تِلْك الفِكْرة غير مُستساغة بالمرَّة، لدرجة أنَّه أدخل "مُعامل تصحيح" مُتغيِّر سمَّاه الثَّابت الكونيّ، المضبوط نظريـًا من أجل حفظ الكون في اتِّزان ثابت أبدي. ولكن فور معرفته باكتشاف هابل، قام أينشتاين برحلة واسعة الشُّهرة إلى كاليفورنيا، لرؤية بيانات هابل بنفسه. ونتيجةً لا كتشافات هابل، وأعمال جورج إدوارد لوميتر (كاهن كاثوليكي بلجيكي وفيزيائي تتلمذ على يدي آرثر إدينجتون)، وألكسندر فريدمان السوفياتي الذي رجَّحت حُلُوله لنظرية أينشتاين أنَّ الكون آخذ في الاتِّساع؛ ندم أينشتاين على ثابته الكونيّ، الذي اشتهر بتسميته (أعظم خطأ) في حياته المهنية"[2]

أرصاد عالم الفلك الشهير إدوين هابل: ظهر لنا مما سبق أن معادلات نسبية أينشتاين كانت أول من طرق باب تدخّل العلوم النظرية الرياضية والعلوم التجريبية في ميدان الإجابة عن أحوال الكون وهل هو ثابت ومستقر أم له بداية مطلقة، لكن تبين أن رواسب التعصب للفكر المادي الإلحادي كانت لا تزال

1 Albert Einstein ،"Die Grundlage der allgemeinen Relativitätstheorie ،" Annalen der Physik 354 ،no. 7 (1916): 769– 822. The English translation is in H. A. Lorentz et al. ، The Principle of Relativity: A Collection of Original Memoirs on the Special and General Theory of Relativity ،trans. W. Perrett and G. B. Jeffrey (London: Methuen ،1923) ،109– 64. Albert Einstein ،"Kosmologische Betrachtungen zur allgemeinen Relativitätstheorie ،" Sitzungsberichte der Königlich Preußischen Akademie der Wissenschaften (Berlin) ،Seite ،part 1 (February 8 ،1917): 142– 52. The English translation is in Lorentz et al. ، The Principle of Relativity ،175– 88. Cited in: Hugh Ross ، A Matter of Days: Resolving a Creation Controversy (Kindle Locations 2509-2511). RTB Press. Kindle Edition

2 Guillermo Gonzalez and Jay W. Richards: The Privileged Planet (How Our Place in The Cosmos is Designed for Discovery) ،Regnery Publishing 2004 ،p170 ،171.

تعشــعش في دماغ أينشــتاين ومن يســير على نفس نهجه لدرجة أنه لم يتقبل نتائج معادلاته وأدخل ثابته الكوني عليها كنوع من محاولة تكييف نظريته مع النظرة المادية السائدة أنذاك.

لكن هذا لم يســتمر لمدة طويلة حتى جاء تاريخ 1929 حينما قام إدوين هابل، في مراصــد كارنيجي Carnegie Observatories في باســادينا بكالفيورنيا، بقياس الانزياح نحو الأحمر لعدد من المجرات البعيدة، كما قاس مسافاتهم النسبية عن طريق قياس السطوع الظاهري لفئة من النجوم في كل مجرة تدعى قيافاويات Cepheids، وعندما ربط ما بين الانزياح نحو الاحمر والمسافة النسبية وجد أنّ الانزياح نحو الأحمر للمجرات البعيدة يزداد كتابع خطي لمسافات تلك المجرات. والتفسير الوحيد لهذه الملاحظة هو أنّ الكون يتوسّع.[1]

وبمجرد اكتشاف العلماء توسع الكون، أدركوا أنه من المؤكد أنه كان أصغر في الماضي. وفي فترة ما من الماضــي كان الكون بأكمله نقطة وحيدة. هذه النقطة، والتي دُعيت لا حقًا الانفجار الكبير the big bang، هي بداية الكون الذي نعرفه اليوم. تقول كاتبة العُلُوم الأمريكية كيتي فيرجوســون: "تختلف صُــورة الكون في أواخر القرن العشــرين اختلافًا مُذهلًا عن الصُّــورة التي عرفها أســلافنا في بداية ذلك القرن، فمن المعروف الآن أنَّ كلّ النُّجُوم المُنفردة التي نراها بأعيننا المُجرَّدة هم فقط نجوم مجرَّتنا (مجرَّة درب التِّبَّانة)، وأنّ مجرَّة درب التِّبَّانة هي واحدة من بين مليارات عديدة من المجرَّات، ومن المعروف أيضًا أنّ الكون ليس أزليًا ولكن له بداية مُنذ حوالي 10-20 مليار سنة، وأنَّه يتوسَّع "[2]

ويضيف عالِم الفيزياء النظرية المشهور جداً ستيفن هوكينج قائلا: " كان من المُدهش جدًّا اكتشاف أنَّ مُعظم المجرَّات بدت مُنزاحة نحو الأحمر: تقريبًا كان كلّهم يبتعدون عنَّا! والأكثر إدهاشًا هو اكتشاف أنَّ هابل نشر في عام 1929م أنَّه حتى مقدار انزياح المجرَّة نحو الأحمر ليس عشوائيًّا، بل يتناسب مُباشرة مع بُعد المجرَّة عنَّا. بمعنى آخر، كُلَّما بعُدَت المجرَّة؛ ســارع ابتعادها! وهذا يعني أنَّه لا يُمكن للكون أن

1 https://nasainarabic.net/main/articles/view/frgreg

2 Kitty Ferguson: The Fire in the Equations ،Bantam Press 1994 ،p89. Cited in: Bert Thompson: The Case for the Existence of God ،Apologetics Press Inc 2003 ،p10 ،11

يكون ساكنًا أو غير مُتغيِّر الحجم، كما اعتقد الجميع في السَّابق. فهو في الواقع يتوسَّع؛ فالمسافة بين المجرَّات المُختلفة تزداد طول الوقت."[1]

الإشعاع الخلفي الميكروي للكون: هو عبارة عن البقايا الباردة للضوء الأول الذي أمكنه الانتقال بحرية في جميع أرجاء الكون. هذا الإشعاع الأحفوري الكوني هو أبعد ما استطاعت أن تلتقطه التيليسكوبات الفضائية إذ انبعث بعد الانفجار الكوني بفترة وجيزة.

بعبارة أخرى يمكننا القول أننا أمام رسالة من الماضي السحيق حاملة لنا السجلات الأولية لموجات الصدمة الناتجة عن الانفجار الكوني الكبير وبالتالي فهي أقدم إشعاعات ميكروية تمكنا من رصدها.[2]

وها هو ذا عالِم الفَلَك الشَّهير روبرت جاسترو يقول كلاماً في غاية القُوَّة ليشرح لنا مدى أهمية اكتشاف هذا الإشعاع:" لم يُكتَشف أيُّ تفسير آخر لا شعاع الكُرة النَّارِيَّة (تعبير مجازي كنايةً عن أنَّ بداية الكون كانت شبيهة بالكُرَّة النارية) سوى الانفجار الكبير. والنُّقطة الفاصلة التي أقنعت توما الشَّكَّاك (تعبير مجازي كنايةً عن كلّ الذين شكَّكوا في صِحَّة النظرية)، هي أنَّ الإشعاع الذي اكتشفه (بنزياس) و(ويلسون) له بالضَّبط نمط الأطوال المُوجِيَّة المُتوقَّعة للضّوء والحرارة النَّاتجة عن الانفجار الكبير. وقد حاول مؤيِّدوا نظرية الحالة الثَّابتة جاهدين إيجاد تفسير بديل، إلَّا أنَّهم فشلوا. في الوقت الحالي، ليس لنظرية الانفجار الكبير مُنافسون"[3]

ويؤكد كلامه مجددا عالِم الرِّياضيات الشَّهير ديفيد بيرلنسكي قائلا:" لا يوجد أيّ دليل أقوى من هذا الرَّصد، والنَّتائج المُستنبطة من ورائه، أقنعت الفيزيائيين بأنَّ نظرية الانفجار الكبير أصبحت من الحقائق"[4]

---

1 Stephen Hawking with Leonard Mlodinow: A Briefer History of Time (Kindle Locations 642-645) Random House.
https://www.esa.int/Science_Exploration/Space_Science/Herschel/Cosmic_Microwave_Background_CMB_radiation

3 Robert Jastrow ، God and the Astronomers ،15-16. Cited in: Norman L. Geisler & Frank Turek: I Don't Have Enough Faith to Be an Atheist (Kindle Locations 1349-1354). Crossway. Kindle Edition

4 David Berlinski: The Devil's Delusion (Atheism and It's Scientific Pretensions) ،Basic Books 2009 ، p78.

اعترافات أخرى من المجتمع العلمي تؤكد على أن بداية الكون أصبحت حقيقة علمية:

يقول ستيفن هوكينج: "نحن نؤمن أنَّ الكون ليس أزليًّا"[1]

كما يشـير هذا الأخير إلى أنَّ مجهوداته النَّظرية مع عالِم الرِّياضـيات روجر بنروز أدَّت إلى أنَّ: " الجميع تقريبًا يؤمنون الآن بأنَّ الكون والوقت نفسه بدءا بالانفجار الكبير"[2]

يقول عالِم الكيمياء الحيوية ما يكل بيهي: " لا يتعلَّق نجاح نموذج الانفجار الكبير البتَّة بمضـامينها الدِّينية. فهو يبدو مُتَّفقًا مع العقيدة اليهودية النصـرانية (المذهب الألوهي) الخاصَّـة ببداية للكون، ويبدو مُختلفًا مع أديان أخرى تؤمن بأزليَّة الكون. ولكنَّ النَّظرية برهنت على صِـحَّتها من خلال البيانات المرصـودة، والتَّوسُّـع الكوني، وليس باسـتحضـار نُصُـوص مُقدَّسـة أو تجارب روحية لقدِّيسـين. جاءت النَّظرية عن طريق الدِّراسة المُباشرة للأدِلَّة المرصودة، ولم توضع من أجل أن تكون مُتَّسقة مع مجموعة معيَّنة من العقائد الدِّينية " [3]

الرد على الاعتراضات حول دليل الخلق ومقدماته ونتائجه

ما المانع العقلي من ظهور الكون بلا سببٍ مسؤولٍ عن إيجاده/ أو بصياغة أخرى: خلقه العدم؟

الجواب:

من أشهر من ادعوا عقلانية هذا الطرح الجنوني هو الملحد كوانتن سميث أستاذ الفلسفة بجامعة ميتشيغن حيث قال: " حقيقة الأمر هي أن أكثر اعتقاد منطقي هو أننا أتينا من لا شيء، بسبب لا شيء، من أجل لا شيء "[4]

---

1 Stephen Hawking with Leonard Mlodinow: A Briefer History of Time (Kindle Locations 1230). Random House.

2 Stephen Hawking and Roger Penrose ، The Nature of Space and Time ،The Isaac Newton Institute Series of Lectures (Princeton ،N. J.: Princeton University Press ،1996) ،20. Cited in: William Lane Craig ، Reasonable Faith: Christian Faith and Apologetics ،Crossway Books 2008 ،3rd edition ،Page 130

3 - Michael J. Behe: Darwin's Black Box ،The Biochemical Challenge to Evolution ،Free Press ،New York 2006 p245 ،246

4 Quentin Smith “Theism Atheism and Big Bang Cosmology” Clarendon Paperbacks

والرد ببساطة شديدة هو أن " فاقد الشيء لا يُعطيه " فالعدم هو ضد الوجود وبالتالي فهو ليس بشيءٍ أصلاً، وما ليس بشيء لا يمكن أن يصدر عنه أي فعل أو أي تأثير، والأصفار مهما تعدّدت(0+0...إلى ما لانهاية) فلن يكون الناتج لدينا سوى صفرا.

نختم بكلام الفيلسوف اللاهوتي ويليام لين كريغ الذي قال:" أولًا وقبل كل شيء، إن من لبّ الواقع الحتمي أنه لا يمكن لشيء أن يوجد من لا شيء. إن اقتراح ظهور الأشياء إلى الوجود ببساطة وبدون أيّ سبب هو إلغاء للتباحث الفلسفي الجدّي والتجاء للسحر.

ثانيًا: إذا كانت الأشياء تستطيع فعلًا أن تأتي إلى الوجود بلا سبب ومن لا شيء، فيصبح من المتعذّر تفسير كيف يمكن حقًّا لا يّ شيء وكل شيء ألا يأتي إلى الوجود بلا سبب ومن لا شيء. أخيرًا: إن المقدمة الأولى مُصدّق عليها بشكل مستمرّ في خبراتنا. فلدينا بالتالي أقوى الدوافع لقبولها"[1]

سلّمنا لكم أن الكون يستحيل أن يظهر إلى الوجود بلا سبب أوجده، لكن ما الذي يمنع أن الكون هو المُتسبب في خلق نفسه؟!

الجواب:

أشهر من تجرّأ على تبنّي هذا الادعاء علنًا هو الفيلسوف الملحد دانيال دينيت أحد فرسان الإلحاد الأربعة قائلاً:" فلسفة هيوم منذ فترة طويلة تساءلت، لماذا لا نتوقف عند العالم المادي؟ فهو كما نراه يؤدي دور خدعة أولية مطلقة، فإنه يخلق نفسه من العدم! أو على أية حال خُلق تقريبا من شيء لا يختلف كثيرا عن العدم!"[2]

هذا الادعاء لا يقلُّ جنونًا عن سابقه فنحن لا نستطيع تصوره عقلًا فضلًا عن أن نقول بوجوده على أرض الواقع، وهذا راجعٌ إلى مخالفته لقانونين عقليّين صارمين وهما:

فاقد الشيء لا يُعطيه: الكون كغيره من الحوادث قبل لحظة ظهوره لم يكن له وجود ولم يكن شيئًا، وبالتالي لا يجوز عقلًا أن نصِفه بالقدرة أو ننسب إليه أي فعلٍ من الأفعال، فكيف بقولنا بأنه خلق نفسه؟!

1Richard Dawkins of Arguments for Godin God is Great God is Good (14)
2 DANIEL C. DENNETT “Breaking the Spell” P244

يقول الشيخ الخطابي رحمه الله في إطار تفسيره للآية 35 من سورة الطور:".....وهذا في الفساد أكثر وفي الباطل أشد، لأن ما لا وجود له كيف يجوز أن يكون موصوفًا بالقدرة، وكيف يخلق وكيف يُتأتى منه الفعل، وإذا بطل الوجهان معًا قامت الحجة عليهم بأن لهم خالق فليؤمنوا به إذا."[1]

النقيضيان لا يجتمعان: من المعروف أنه حتى يكون الشيء خالقًا لا بُد أن يكون موجودًا، وحتى يُخلق لا بُد أن يكون في الأصل معدومًا. لكن **الادعاء** بأن الكون هو الذي أوجد نفسه يلزم منه بالضرورة القولُ بأنه كان موجودًا ومعدومًا في نفس الوقت! وهذا قطعًا مستحيل لِما فيه من جمعٍ بين نقيضين الذي هو باطلٌ عند جميع عقلاء البشر.

إذا كنتم تدّعون بأن لهذا الكون خالقًا، إذًا فمن خلق هذا الخالق؟! + لماذا لا يكون الذي خلق الكون شيئا ما ديا وليس إله الأديان؟!

الإجابة:

هذان الاعتراضان الكلاسيكيان من أشهر ما يطرحه الملاحدة عندما يعجزون أمام قوة مقدمات دليل الخلق والإيجاد المنطقية وخاصة الاعتراض الأول المتعلق بِـ"من خلق الخالق"، والسبب الذي دفعني إلى جمعهما في سؤال واحد هو اشتراكهما في نفس المغالطات ونفس المخالفات المنطقية والتي تتمثل في:

الجمع الواضح بين النقيضين: ويتجلّى لنا ذلك في جملة (من خلق هذا الخالق) التي جُعل فيها الرب حاملا لصفتي الأزلية والحدوث في آنٍ واحد وكونه مخلوقًا وخالقًا في الوقت نفسه! وهذا محال في ذاته لما فيه من تناقضٍ واضح البطلان ومخالفته الصريحة لتعريف كلمة الخالق الذي لا تنطبق عليه نفس صفات وقوانين مخلوقاته، إذ الأمر أشبه بمن يسأل: من خبز الخبّاز؟ من طبخ الطبّاخ؟ وكأن الطرف الملحد يريد منّا إجابته على سؤال: من خلق الذي لا خالق له؟!

الوقوع في مغالطة "التسلسل في الفاعلين" وهي باطلة بإجماع العقلاء: فالمعترض بسؤال من خلق الخالق أو ما هو سبب وجود الخالق لن يمُانع من طرحنا لسؤال إضافي من شكل: من خلق خالق الخالق؟ فبعدما يجيبنا نعود ونسأله بنفس السياق وهكذا نستمر إلى ما لانهاية! فلو كانت هذه السلسلة

1 البيهقي، الأسماء والصفات الجزء 2، ص271

اللانهائية من الخالقين حقيقية، هل كان لِيوجد الكون؟ وهل كنا سنكون موجودين أصلا لنطرح هذا الأسئلة؟

وسنلاحظ نفس الإشكال السابق في الادعاء الثاني (لماذا لا يكون الذي خلق الكون شيئا ما ديا وليس إله الأديان؟) وهو أن الناس بمختلف معارفهم وبأدنى قدرٍ من الملاحظة يُدركون أن المادة مفتقرة وغير مكتفية بذاتها ودائما ما تكون خاضعة لقوانين طبيعية تُحدد سير عملها وبقائها واستمرارها وتسبقها في وجودها من باب أولى، فلو كان سبب وجود الكون محصورا فقط في المادة فسيبقى السؤال مطروحا: من خلق هذه المادة المسؤولة عن نشأة الكون؟ فلو أجابنا الملحد بأنه سبب ما دي آخر فسنعيد طرح السؤال مجددا وهكذا سنجد أنفسنا وقعنا في مغالطة التسلسل في الفاعلين/ المؤثرين وهي باطلة بداهةً.

وبما أننا والكون موجودون فهذا يدل يقينًا على أن سلسلة الأسباب منتهية ومحدودة بسببٍ أول أزلي غير مفتقر لمن يسبقه ويهبه الوجود ويضمن استقراره ولسنا نحن المؤمنين من قررنا فجأة أن نجعل هذه السلسلة منتهية بل هي الضرورة العقلية الملِّحة التي ينتج عن مخالفتها مُحالًا عقليا.

ملاحظة هامة!

نحن كسلمين ليست عندنا مشكلة مع فكرة أن الكون خُلِق من سبب ما دي آخر أو سبب غيبي لا تدركه حواسنا لا ننا نؤمن أن الله يخلق بالأسباب وبدون الأسباب (من عدم) وبضد الأسباب كيفما شاء وقتما شاء وِفق ما تقتضيه حكمته جلَّ في عُلاه، إنما كان اعتراضنا على من يحصر أسباب نشأة الكون في الحيِّز المادي فقط متجاهلا ضرورة انتهاء سلسلة الأسباب بمسببٍ أزلي قيومٍ بنفسه وغير محتاج لغيره وهذه الصفات معروفٌ أنها لا تتوفر في المادة على الإطلاق.

يقول المُعترض: أليس اكتشاف القوانين الطبيعية يُغني عن الاعتراف بوجود قوة غيبية مسؤولة عن خلق العالم المادي؟

الجواب:

أشهر طرحٍ لهذه الشبهة جاء في كتاب هوكينغ الأخير "التصميم العظيم" والذي قال فيه: " لأن هُناك قانون مثل الجاذبية، فإنَّ الكون قادر وسيخلق نفسه من لا شيء! "[1]

وبغضِّ النظر عن أن كلام هوكينغ يحتوي على 3 كوارث عقلية لا يجوز أن تخرج من فم رجل عاميّ فما أدراك بفزيائي فذٍّ مثله إلا أننا سنتجاهل اثنتين ونركّز على الثالثة التي يدور حولها الاعتراض وهي مشكلة تأليه هوكينغ لقوانين الطبيعة ومنحها صفات مثل الخلق والإيجاد والتصرّف في الكون بلا أي سلطان مبين، مع التنبيه على أن هوكينغ ليس العالم الأول ولا الأخير الذي يعتنق هذا التصور بل يمكن القول بأن فكرة تأليه القوانين الطبيعية هي أحد الأعمدة الرئيسية التي يرتكز عليها الإلحاد الجديد.

والرد على هذه الشبهة يبدأ من ملاحظة التدليس الممارس من طرف أنصار هذا القول عن طريق معاملتهم لقوانين الطبيعة عموما وقوانين الفيزياء خصوصا معاملة الكيانات المستقلة المتصرفة في ممتلكاتها كيفما تشاء فهي التي تخلق وتُسيّر وهي قائمة بنفسها! لكن لو نظرنا إلى الواقع وإلى التعريف العلمي للقانون فسنجد تناقضا واضحا! فالقانون العلمي عموما هو توصيف لظاهرة مشاهدة، إنه لا يفسر وجود الظاهرة أو مسبباتها، فتفسير الظاهرة يعُرف بالنظرية العلمية (scientific théories)، وفكرة تحول النظريات بوجود بحثٍ كافٍ إلى قوانين هو سوء فهم![2]

يقول الفيلسوف البريطاني الشَّهير ويليام بيليه صاحب حُجَّة التَّصميم المشهورة: "إنَّه لتحريفٌ للُّغة أنَّ تُحدِّد أيّ قانون على أنَّه السَّبب الكافي الفعَّال لا يّ شيء. فالقانون يفترض مُسبقًا وُجُود عامل؛ فالقانون مُجرَّد الآلية التي يسير عليها العامل. والقانون يتضمَّن قُوَّة؛ لأنه النِّظام الذي تعمل تِلْك القُوَّة

1 Stephen Hawking ،Leonard Mlodinow: The Grand Design ،Random House Publishing Group 2010

2 https://nasainarabic.net/education/articles/view/what-is-a-law-in-science-definition-of-scientific-law

وِفقًا له. وبدون هذا العامل، وبدون هذه القُوَّة، المُستقلَّين كلاهما عن القانون، لا يفعل القانون شيئًا؛ فهو لا شيء"[1]

فالقانون العلمي إذًا ليس سوى صيغة رياضية مجردة وظيفتها توصيف ظاهرة ما بشكل دقيق بقدر المستطاع ولا يمكن لهذا القانون أن يعطينا إجابة عن أصل هذه الظاهرة ومنشأها ولماذا هي على هذه الحال بدلا من آلاف الحالات التي كانت يمكن أن تكون عليها، بل لا يمكنه حتى الإجابة عن الغاية والهدف الذي من أجله وُجدت هذه الظاهرة وخذ مثال قوانين الاحتراق الداخلي لمحرك السيارة فهي من جهة لا يمكنها أن تخلق لك المحرك نفسه ولا أن تُبرر لك لِما هي على هذه الصيغ بدلا من صيغٍ أخرى محتملة، ولا يمكنها أن تخبرك بالغاية التي من أجلها قرر هذا العالِم صناعة المحرك. بل إن الملحد فتح على نفسه باب أسئلة كان في غِنى عنها وهي: من أين جاءت هذه القوانين من الأساس؟ من الذي قنَّنها؟ من الذي جعلها قابلة للاستيعاب لدرجة أن يأتي كائن اسمه الانسان ويقوم بتوصيفها ببضعة أرقام وحروف؟

يقول عالِم الرِّياضيات الشَّهير (جون لينوكس) في إطار تهكمه على ادعاء هوكينغ: " لماذا يُوجد شيء بدلًا من لا شيء؟ يقول هوكينج: إنَّ وُجُود الجاذبية يعني أنَّ خلق الكون كان حتميًا. لكن كيف جاءت الجاذبية إلى الوُجُود في المقام الأوَّل؟ ما ذا كانت القُوَّة الخالقة وراء ميلادها؟ ومن الذي وضعها هُناك، بكل خواصّها مع إمكانية وصفها كقانون رياضي؟ "[2]، ويكمل رده عليه في موضعٍ آخر: "لا تستطيع القوانين الفيزيائية خَلْق شيءٍ من تلقاء نفسها؛ فهي محض وصف (رياضيَّاتي) لما يحدث طبيعيًا في ظُرُوف مُعيَّنة. قانون (نيوتن) للجاذبية لا يخلق الجاذبية، بل إنَّه لا يشرحها حتى، كما أدرك (نيوتن) نفسه. في الحقيقة، قوانين الفيزياء ليست عاجزة عن خِلْق أي شيء فحسب، بل إنَّها عاجزة أن تُسبِّب إحداث أيّ شيء"[3]

---

1 William Paley ،***Natural Theology*** ،1802 ،p. 7. Cited in: John Lennox: ***God and Stephen Hawking*** (Kindle Locations 529-534). Lion Hudson. Kindle Edition

2 John Lennox: ***God and Stephen Hawking*** (Kindle Locations 587-590). Lion Hudson. Kindle Edition

3 نفس المصدر السابق (Kindle Locations 482-485)

العجيب والغريب في الأمر أن ستيفن هوكينغ نفسه كان يخالف هذا الافتراض العجيب (أن القوانين تغني عن الخالق) في كتابه السابق " **موجز تاريخ الزمن** " الذي صدر قبل كتابه الأخير " **التصميم العظيم** " وقد لمّح إلى عجزها وكونها هي الأخرى تحتاج إلى من يوجدها ويضبطها وينفخ الحياة فيها إن جاز التعبير قائلا:"حتى لو لم يكن هُناك سوى نظرية مُمكنة مُوحَّدة (نظرية كلّ شيء)، فهي محض مجموعة من القوانين والمُعادلات. ما الذي ينفخ النَّار في القوانين ويخلق كونًا على مواصفاتها؟ "[1]

فما الذي جعل هوكينغ ينقلب على هذا الطرح العقلاني ويسير عكس ما تؤمن به بسائط العقول في كتابه التصميم العظيم؟ أزعم شخصيا أن الإجابة تكمن في كلام هوكينغ نفسه الذي سأنقله لكم فهو ليس إجابة تعبر عنه وحده بل هي وصفٌ لِعقليات ما يُسمى بالمجتمع العلمي المُحايد، يقول هوكينغ: " الكثيرون لا **يُحبُّون** الفكرة التي تقول أنَّ الزَّمن له بداية، غالبًا من أجل أنَّه يدُلّ بوُضُوح على التَّدخُّل الإلهي "[2]

لاحظ الكلمة المُسطّر عليها في كلام هوكينغ "لا يحبون" إنها تخبرك بأن المسألة لم تكن أبدا مسألة حججٍ منطقية أو دلائل علمية فكلاهما متوفرٌ ولله الحمد والمِنَّة بل كل ما في الأمر عبارةٌ عن استكبارٍ وجحودٍ صريح لِما خضعت له الفِطر قبل العقول، إنه باختصار شديد "عِبادة للهوى وخوفُ على المناصب والكراسي العلمية "

صحيح بأن دليل الخلق والإيجاد يثبت وجود سببٍ للكون لكن من أين لكم أنه إله الأديان الذي يعبده المؤمنون؟

الجواب:

هذا ناتجُ عن جهلٍ وسوء تصورٍ لأدلة المؤمن لأن هذا الأخير لا يقول بأن خالق الكون هو الله تبارك وتعالى فقط لأن دليل الخلق والإيجاد يُخبره بضرورة أن يكون لهذا الكونِ الحادث سببًا مسؤولاً عن

1 Stephen Hawking with Leonard Mlodinow: **A Briefer History of Time** (Kindle Locations 1752-1754). Random House

2 Stephen Hawking ، A Brief History of Time: The Updated and Expanded Tenth Anniversary Edition (New York: Bantam ،1996) ،49. Cited in: Rice Broocks ، God's Not Dead: Evidence for God in an Age of Uncertainty (Kindle Locations 1056-1058). Thomas Nelson. Kindle Edition.

نشأته، قطعًا لا! فدليل الخلق والإيجاد إلى جانب كونه يُثبت أنه وراء هذا الكون سببًا فهو ايضًا يكشف لنا بعض صفات هذا السبب التي يمكن استنباطها بسهولة تامة، فعِندنا هنا أنّ:

- السبب وراء خلق كونٍ عظيم الحجم، دائم التوسع، بمحتوياته المهولة في العدد من مجرات ونجوم حتما سيكون مُتصفًا بقوة عظيمة هائلة لا يُمكن تصورها
- السبب وراء خلق الكون يجب أن يكون أزليًّا لا بداية له وإلا وقعنا في مغالطة التسلسل في الفاعلين التي هي باطلة في بدائه العقول.
- بما أن السبب في خلق الكون يتصف بالأزلية فحتما هو غير مفتقر ولا يُعجزه أي شيء وهذا الإلزام تفرضه الضرورة العقلية لأنه يستحيل على الأزلي أن يكون خاضعا لشروط وأسباب تقيده وقد سبق وبرهنا ذلك في هذا البحث بعنوان " الدليل العقلي: دلالة خضوع أجزاء الكون للسببية "
- السبب وراء ظهور الكون يجب بالضرورة أن يكون ذو مشيئة / إرادة لأنه قرر خلق الكون في مدة مُعينة وبكيفية معينة وبهيئة معينة بالرغم أنه كانت هناك احتمالات أخرى للمدة والهيئة والظروف التي كان سيُخلق الكون وِفقًا لها.

اتضح لنا مما سبق أن دليل الخلق والإيجاد وحده كشف لنا عن أربع صفات لهذا السبب الذي خلق الكون وهي كالتالي: **صفة القوة + صفة الأزلية + صفة الغِنى عن أي سبب والتنزّه عن كل نقيصة + صفة المشيئة**

وبمجرّد أن تجتمع هذه الصفات في ذات واحدة فالنتيجة الحتمية التي لا مفرّ منها هي أننا أمام ذاتٍ إلهية مقدسة عن كل ما يعتري المخلوقات الحادثة من نقائص وافتقار مثل المادة. إننا هنا نتحدث عن الغني الكريم القيوم **الله** خالق كل شيء وهو على كل شيءٍ وكيل.

كيف نردُّ على من يحاول التشكيك في بديهة السببية فلسفيا؟!

الجواب:

يُلّخص أخونا أحمد ناجي السعيد في كتابه "براهين في مواجهة الملحدين" محاولات السفسطائيين الهادفة للتشغيب على البديهيات العقلية عامة وبديهة السببية خاصة على شكل بِضعة أسئلة وهي:

هل نستطيع الانفكاك عنها؟ هل البديهيات/ السببية مطلقة الصحة أم لا؟ هل من الممكن سقوطها في خارج العالم في مكان ما أو زمان ما؟

ونحن هنا في صدد التركيز على مشاغبتهم حول قانون السببية البديهي بحكم أنه عُمدة دليل الخلق والإيجاد.

هل نستطيع الانفكاك عن قانون السببية؟

كما سبق ونبّهنا في بدايات هذا البحث أن بديهة السببية هي العمود الأساسي الذي ترتكز عليه كل علوم ومعارف البشر وهي التي تعصمها من الوقوع في المستحيل العقلي، فالعلم التجريبي ليس سوى بحث عن أسباب وتفسيرات للظواهر الطبيعية وكذلك الطب النفسي فهو يهدف إلى معرفة حيثيات وأسباب الحالة النفسية المُشخّصة وبعدها يقوم بطرح الحلول والعلاجات المناسبة التي هي في الأخير مجرد أسباب للوصول إلى غاية التعافي، وقس على ذلك أي مجال معرفي يخطر على بالك بل إن عمليات مثل التعلّم والتفكير والاستنتاج هي نفسها قائمة على قانون السببية فأنت مثلا لم تكن لتُحصِّل أي معرفة جديدة حتى تتوفر لك أسباب اكتسابها من مُعلمين وكتب...والخ وأنت لا تستطيع استنباط حُكمٍ عقلي حتى تتوفر لك الدلائل والقرائن التي أدّت بك إلى هذا الاستنباط والتي هي في الأخير مجرد أسباب.

من خلال هذه الأمثلة البسيطة والمختصرة بشكلٍ كثيف يمكننا التأكد من أن الملحد السفسطائي على اِستعدادٍ تام من أجل نسف كل ما عملت الحضارات البشرية على بنائه وتوريثه للأجيال التي تلتْها فقط من أجل أن يستقيم له جنونه العقلي بل هو يُدمر التفكير البشري ذاته! وكيف لا وهو يحاول إنكار السببية وضرورتها متجاهلا كون الوجود نفسه عبارة عن ترابطٍ تام بين الأسباب والمُسببات سواءً الوجود المادي الصِّرف أو الوجود المعنوي كالعلاقة بين المشاعر والعواطف.

والمُضحك في الأمر أن السفسطائي نفسه لا يستطيع الالتزام بسفسطته والاتساق مع تشكيكه فتجده يحاول التشكيك في السببية عن طريق السببية نفسها! وهذا من أوضح التناقضات الذاتية التي تهدم نفسها بنفسها ويتجلى ذلك عندما تسأله لماذا تُنكر بديهة السببية؟ فهو بمجرد أن يفتح فمه ويحاول إعطائك المُبررات يكون قد هدم إنكاره وناقض موقفه، لأن عملية البرهنة عن ادعاء ما هي نفسها قائمة على

البديهة التي كان قبل قليل في صدد إبطالها، فهو من حيث لا يدري يحاول منحك الدوافع والدلائل (أسباب) التي تُبرر موقفه وتجعلك تقتنع بكلامه (نتيجة)!

فهل هناك تناقض وعبث أوضح مما سبق؟!

هل السببية مطلقة الصحة أم لا؟

كذلك من أوجه التشكيك في قانون السببية محاولتهم لِنزع المُطلقية عنها وبالتالي تحويلها إلى مجرد علم نظري قابل للتشكيك والمحاكمة وأن مصدرها هو تراكم الخبرات والتجارب المتوارثة عبر الأجيال منذ الظهور الأول للإنسان وينسبون هذا الموقف إلى الفيلسوف الإسكتلندي ديفيد هيوم في قوله: " إن معرفتنا بالأسباب لم تحصل البتة من خلال البداهة العقلية، وهي تأتي دائما من تجربتنا في اكتشاف أن أشياء مخصوصة ترتبط دائما بأخرى "[1]

رغم أنهم يتجاهلون (عن قصد أو غير قصد) مسألة اختلاف الفلاسفة من المتخصصين في الفكر الهيومي في موقف هيوم من السببية، خاصة انتصار فريق منهم إلى التفسير الواقعي لنظرة هيوم للسببية، وهي قراءة ترى أن هيوم لم ينكر مبدأ السببية، وإنما أنكر معرفتنا في عالم الواقع بالأسباب الحقيقية لا ثار العالم، فقد قال هيوم نفسه في رسالة أرسلها إلى جون ستيوارت John Stewart سنة 1748 أي بعد تأليفه كتابه " An Enquiry Concerning Human Understanding " الذي أصَّل في فصله الرابع لظاهرية العلاقة الاقترانية بين الأشياء[2]: " ولكن اسمح لي أن أقول لك إنني لم أقرر البتة ذاك الادعاء السخيف أن شيئا ما من الممكن أن ينشأ دون سبب. أنا لم أقرر إلا أن يقيننا في خطأ تلك الدعوى لم ينجم عن حدس ولا عن برهان، وإنما من مصدر آخر "[3]

وهنا نسأل هؤلاء المشكّكين: هل يجوز عقلا وواقعًا أن تكون علومنا ومعارفنا كلُّها نظرية وغير مُطلقة الصحة؟

---

1 David Hume ،An Enquiry Concerning Human Understanding (Oxford: Oxford University Press ، 2007) ،IV-chapter ،page 19.

2 كتاب من خلق الله للدكتور سامي عامري ص 31

3 Grieg ،ed ; The Letters of David Hume (Oxford: Clarendon Press ،1932) ،1/187

يجيبنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قائلاً: " البرهان الذي ينال بالنظر فيه العلم، لا بد أن ينتهي إلى مقدمات ضرورية فطرية، فإنّ كل علم ليس بضروري لا بد أن ينتهي إلى علم ضروري، إذ المقدمات النظرية لو أثبتت بمقدمات نظرية دائما لزم الدور القبلي، أو التسلسل في المؤثرات في محل له ابتداء، وكلاهما باطل بالضرورة واتفاق العقلاء من وجوه. فإن العلم النظري الكسبي هو ما يحصل بالنظر في مقدمات معلومة بدون النظر، إذ لو كانت تلك المقدمات أيضا نظرية لتوقفت على غيرها، فيلزم تسلسل العلوم النظرية في الإنسان، والإنسان حادث كائن بعد أن لم يكن، والعلم الحاصل في قلبه حادث، فلو لم يحصل في قلبه علم إلا بعد علم قبله، للزم أن لا يحصل في قلبه علم ابتداء، فلا بد من علوم بديهية أولية يبتدؤها الله في قلبه، وغاية البرهان أن ينتهي إليها "[1]

الذي نفهمه من كلام الشيخ هو أنه لو كانت كل علومنا نظرية تحتاج إلى البحث عن دليل لتتيقن من صِحتها ولم يكن لها أي علوم مرجعية صحيحة في ذاتها [لا تحتاج إلى دليل بل هي الدليل نفسه] تتحاكم إليها في عملية البرهنة فسنقع في مُغالطة التسلسل في المؤثرين وهي باطلة بإجماع العقلاء! وطبِّق هذا المثال على بديهة السببية فستجد أنها إذا لم تكن مُطلقة في ذاتها، إليها ينتهي الاستدلال فستضطر أن تبحث لها عن دليل يُبرهن صحتها وبعد ذلك تبحث عن دليلٍ آخر يبرهن صحة الدليل الذي يبرهن على صحة السببية، فهل ستُحصِّل البشرية أي معرفة في ظل هذا العبث الفكري والتسلسل اللّانهائي في تحصيل العلوم؟!

لكن بما أن الواقع ونفوسنا يشهدان بعكس ما سبق وأننا لا زلنا نمارس عملية التحصيل والتفكير واكتساب المعرفة بشكل مُتّسق ولا تزال علومنا في ازدهار فهذا يعني يقيناً أنه هناك علوم مرجعية مُطلقة نعتمد عليها في تمحيص معلوماتنا وتمييز الصواب والخطأ منها، ومحاولة التشكيك في مطلقية هذه العلوم المرجعية يؤدي بنا إلى الشلل المعرفي والعلمي وتصبح حياتنا عبثًا محضاً، ومن ضمن هذه العلوم الضرورية المُطلقة قانون السببية.

1 درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية، الرياض (2/ 110)

هل من الممكن سقوطها في خارج العالم في مكان ما أو زمان ما؟

قبل التطرّق إلى الإجابة عن هذا السؤال سيكون علينا ضرورة توضيح الفرق بين ما هو مستحيل عادة وما هو مستحيل عقلاً.

فالمستحيل عادة هو ما تُحيل الخبرة البشرية وقوعه لكنه لا يستحيل تصوره عقليًّا وبالمِثال يتضح المقال: هل من الممكن أن توجد نارٌ تُجمّد ولا تُحرق؟ العادة تحيل ذلك وهذا ما يُسمّى بالمستحيل عادةً، لكن هل يستحيل تصور وجود هذه النار عقلاً؟ طبعا لا

أما المستحيل عقلاً فهو ممتنعٌ في ذاته لا يمكن تصوّره ويستحيل تواجده في أي زمانٍ أو مكانٍ لأنه ليس بشيءٍ أصلا، ومن أمثلته مناقضة البديهيات العقلية: فمثلا لا يمكننا تصوّر نصف تفاحة أكبر من التفاحة ذاتها، لأن الكُل أكبر من الجزء! ولا يمكننا تصوّر شيئًا يكون موجودًا ومعدومًا في نفس الوقت، لأن النقيضان لا يجتمعان! ولا يمكننا كذلك تصور فِعلٍ يصدر من دون فاعل، لأن كل حادثٍ لا بُد له من مُحدث!

والآن نعود لا جابة السؤال الأساسي فنقول: بديهة السببية كغيرها من البديهيات عبارة عن فكرةٍ وحقيقة مجردة موجودة في علم الله الأزلي، أي أنها ليست بكيانٍ مستقلٍّ بذاته يخضع للإيجاد والفناء مثل بقية الحوادث حتى نقول عنها أنها مخلوقة ولها بداية، فبما أن الله موجود منذ الأزل فهي كذلك أيضا.

وقد بيّنا سابقا الفرق بين المُستحيل العقلي والمُستحيل العادي وظهر لنا أن محاولة الخروج عن سُلطة البديهيات العقلية مثل السببية سيوقع بنا في المستحيل العقلي الذي ليس بشيءٍ أصلا، ومنه نستنتج أن ادعاء إمكانية سقوط السببية في زمانٍ ما أو مكانٍ ما هو ادعاء مناقض للعقل السليم قبل أن يكون مناقضا للرصد الصحيح وأن نتيجته معدومة يستحيل تواجدها في الواقع.

كيف نرد على من يدّعي أن ميكانيكا الكم قد أسقطت السببية كبديهة عقلية؟!

الجواب:

ردنا سيكون مُرتبًّا على شكل نقاط بحيث كل نقطة نُجيب عليها بما يناسبها من كلام العُلماء المُختصين **المُنصفين** وتتمثل هذه النقاط في:

- تعريف ميكانيكا الكم كعِلم

- هل هناك في الفيزياء ما يُسمى بالعدم المحضْ؟
- هل حقا تنشأ الجُسيمات الافتراضية من العدم بدون سبب؟
- هل هناك وجودُ حقيقي لما يسمى بالجُسيمات الافتراضية؟
- هل يصُوغ عقلا أن نقول بأن ميكانيكا الكم هدمَت السببية؟

تعريف ميكانيكا الكم كعِلم:

هو أحد العلوم المؤسسة لِما يُسمىّ بالفيزياء الحديثة إلى جانب نسبية أينشتاين خلفًا لفيزياء نيوتن الكلاسيكية ويُمكن تعريفه أيضا حسب موسوعة ستانفورد للفلسفة: "بأنه الأداة الرياضية التي تهدف إلى التنبؤ بسلوك الأجسام ما دون الذرية إلى جانب تحسين وتطوير أدوات القياس المستعملة في عملية التنبؤ هذه، وقد أثبت هذا العِلم جدارته خاصة من ناحية دقة القياسات والنتائج المتحصل عليها مقارنةً بأي نظرية سبقته...."[1]

هل هناك في الفيزياء ما يُسمى بالعدم المحضْ؟

تخيّل معي غرفة تحتوي على أغراض قديمة، فقمنا بإفراغها من هذه الأغراض وبعدها تم سؤالك: ما ذا تبقى في الغرفة؟ ستجيب طبعا: لا شيء، بعدها سيُطلب منك التركيز في إجابتك والمحاولة مرة أخرى وفي هذه الحالة ستتفطّن وتجيب: بقيت ذرات الهواء. نُكمل التجربة فنقوم بإفراغ الغرفة من كل ذرات الهواء ونعزلها من الإشعاعات الخارجية وبعدها سُيعاد طرح نفس السؤال عليك مجددا وهنا سيتملكك اليقين وأنت تخبرنا بأن: لا شيء حرفيا في الغرفة، مُحتواها معدوم!

هنا سيتأسف لك الفيزيائيون ويخبروك بأن جوابك خاطئ للمرة الثانية وأنه مهما حاولت إفراغ محتوى الفضاء (الغرفة في مثالنا السابق) من ذرات وإشعاعات فإنك لن تبلغ درجة العدم بمفهومها الفلسفي أبداً بل سيتبقى هنالك مقدار ضئيل جدا من الطاقة، لا يُساوي صِفرًا طبعا لكنه قريب منه وهذه الطاقة معروفة عندهم باسم (الحد الأدنى الممكن للطاقة Zero-point-energy).

1 https://plato.stanford.edu/entries/qm /

يقول ستيفن هوكينغ في كتابه التصميم العظيم:" حسب مبدأ عدم الدقة فإن قيمة مجال معين ومعدل تغيره يلعبان الدور نفسه مثل الموضع والسرعة لجسم معين حيث كلما كان أحدهما أكثر دقة في التحديد كان الآخر أقل دقة في التحديد ونستفيد من هذا فائدة مهمة وهي أنه لا يوجد شيء اسمه فضاء فارغ وذلك بسبب أن الفضاء الخاوي يعني أن كلاً من قيمة المجال ومعدل تغيره يساويان صفراً بالضبط (إذا كان معدل تغير المجال ليس صفراً بالضبط فالفضاء لن يبقى فارغا) ومبدأ عدم الدقة لا يسمح لقيمة كل من المجال ومعدل تغيره أن يكونا محددين معا، ولذلك الفضاء لن يكون فارغا أبدأ ولكنه سيبقى في الحالة الدنيا من الطاقة التي تسمى فراغا وهذه الحالة يحدث بها تذبذبات الفراغ"[1] ويُؤكد كلامه هذا الاقتباس المهم من كتاب (مدخل إلى ميكانيكا الكم):" ولكن عدم التحديد الكلي هذا في الزخم سوف يعني أن القيمة المتوسطة للطاقة الحركية ستكون لا نهائية. ومن ناحية ثانية، حين تساوي الطاقة الحركية الصفر، يتوجب أن تكون الطاقة الكامنة لا نهائية وبالتالي فإن مجرد الاقرار بمبدأ عدم التحديد يعني أن الطاقة الدنيا للمتذبذب التوافقي البسيط يجب أن لا تكون صفراً، وفي الواقع يمكن للمرء وببساطة أن يحسب طاقة الحالة الدنيا للمتذبذب التوافقي مستخدماً مبدأ عدم التحديد مع مقدمات معقولة أخرى" [2]

إذًا طبقا لمبدأ عدم الدقة الخاص بالعالم الشهير هايزنبرغ فإنه يستحيل عِلميا أن نجعل الفضاء يصل إلى مرحلة العدم المحض التي يفهمها كل العقلاء بل سيتبقّى دائما مقدار ضئيل من الطاقة وليس هذا فحسب بل يمكننا قياس هذه الطاقة الضئيلة عبر قوانين هايزنبرغ نفسها! وبالتالي لا وجود لمصطلح العدم في الفيزياء بكلتا حِقبتيها (الكلاسيكية + الحديثة) بل إن شئت تسميتها فأنسب مصطلح لهذه الظاهرة هو " الفراغ الكمومي ".

هل حقا تنشأ الجُسيمات الافتراضية من العدم بدون سبب؟

أشهر من روَّج لهذه الشبهة هو الفيزيائي الملحد لورانس كرواس الذي ألَّف كتابًا بعنوان " كونٌ من لا شيء، لماذا هناك شيء بدلا من لا شيء" وقد أشاد به عرّاب الإلحاد الجديد ريتشارد دوكينز مُعتبراً

1 Stephen Hawking « the grand design » chapter 5; p178

2 كتاب مدخل إلى ميكانيكا الكم تأليف "ر.ديكه" و"ج.ويتكه" ترجمة الدكتور "آحو يوسف" ص173

إياه الضربة القاضية الموجهة للإيمان في مجال الفيزياء بعد كتاب داروين " أصل الأنواع " الذي كان في مجال البيولوجيا.

وأساس ادِّعائه هو عبارة عن ظاهرة تحدث على المُستوى الذري تتمثل في نشوء جُسيمات من العدم وبالتالي انهيار مبدأ السببية على حسب زعمه.[1]

لكن تبيّن لنا مما سبق أن كراوس ومن سار على نهجه ما رسوا نوعًا من التدليس العلمي المتمثل في تحريف معنى المُصطلحات اللغوية واستعمالها في غير محلِّها مستغلّين شهرتهم العِلمية التي ستُعمي عقول أنصارهم وتجعلهم يصدقونهم حتى لو كانت الضريبة هي الإيمان بالمُستحيلات العقلية التي تأباها العقول السليمة المُنصِفة! فبدون أي ذرة أمانةٍ علمية وصف كراوس ظاهرة فيزيائية نشِطة وخاضعة لقوانين فيزياء الكم ولها وجود ملحوظ وقيمة قابلة للقياس، وصفها بكونها لا شيء/ عدم! بل وواصل تجنِّيه على بديهيات العقل وأساسيات العِلم مُؤلفًا كتابا مبنيًا على هذا التزوير الصريح للحقائق العلمية مُدعيًا أنه يمكن للكون أن ينشأ من لا شيء بدون تدخل أي قوة خارجة عنه!

وإحقاقا للحق فإنَّ حتى زملاءه في الإلحاد لم يستطيعوا مقاومة وخز الضمير العِلمي الذي بداخلهم وانتقدوه بشدة، فهاهو الكاتب العلمي الملحد جيم هولت يُعلنها صراحة أمام الجمهور ولورانس كراوس نفسه في اللقاء السنوي مع Eiln Tyson برعاية المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وفي نقاش بعنوان: "وجود اللاشيء" The Existence of Nothing: " بداية وكما يعترف بذلك كراوس نفسه أن (اللاشيء) الذي يصفه هو (شيء) أصلا!! وحينما تبدأ بتناقض: فإنه سيكون بمقدورك أن تشتق ما شئت بعد ذلك!!.. إنه (شيء) فيزيائي – يقصد الفراغ الكوانتي – له بنية ويطيع القوانين الفيزيائية المعقدة!! وهناك الكثير من الأمور التي تحدث فيه."[2]

إذًا يُمكننا أن نستنتج في الأخير أن ما كان يُسمّى زورًا وبُهتانًا " نشوء الجُسيمات الافتراضية من العدم" لم يكن في الأخير سوى اهتزاز واضطراب يحدثُ لطاقة الفراغ بحكم أنها مجال كُمومي هي الأخرى، وهذه الاهتزازات Vacuum fluctuations سيتولد عنها ما يُعرف بالجُسيمات الافتراضية

---

1 فيديو للملحد لورانس وهو يطرح هذه الشبهة مصحوبة بتدليسات أخرى سنكشف زيفها بإذن الله
https://youtu.be/Qf1P3uKuS0A

2 https://www.youtube.com/watch?v=rGqgfpZEa0s

التي من المفترض أنها بمجرد أن تظهر للوجود ستُفني بعضها البعض في وقتٍ قصيرٍ جدًا يتم قياسه بقانون عدم الدقة، ومنه نتمنى من أحد أقرباء كراوس أن ينصح هذا الأخير بأن يكون صادقًا مع نفسه ويُغير اسم كتابه من (كونٌ من لا شيء a Universe frome nothing) إلى (كونُ من شيء a universe frome a thing) ويعتذر من المُجتمع العِلمي الذي سبب له إحراجًا بين العامة.

هل هناك وجودُ حقيقي لما يسمى بالجُسيمات الافتراضية؟

" الأداة الحسابية الممثلة في مخططات فاينمان تقترح صورة غالبا ما يساء فهمها على أنها (جسيمات حقيقية تتفاعل من خلال تبادل جسيمات افتراضية). العديد من الفيزيائيين، وخاصة غير الخبراء منهم، يأخذون هذه الصورة حرفيًا، كأنها شيء حقيقي يحصل في الطبيعة بالفعل. في الحقيقة أنا لم أر كتابًا من الكتب المختصة بتقديم علم فيزياء الجسيمات للجماهير من غير المتخصصين، إلا وقدم هذه الصورة على أنها شيء حقيقي يحصل في الواقع. لذلك فإن صورة التفاعلات الكمومية التي تبدو فيها على أنها عملية يحصل فيها تبادل للجسيمات الافتراضية هي واحدة من أسوأ الخرافات ليس فقط في فيزياء الكم وإنما في الفيزياء كلها. في الواقع هناك إجماع بين الخبراء بأسس نظرية المجال الكمومية على أن هذه الصورة لا ينبغي أن تؤخذ حرفيًا. المبادئ الأساسية للفيزياء الكمومية لا تحتوي حتى على مفهوم الحالة «الافتراضية». مفهوم «الجسيمات الافتراضية» ينشأ فقط من اتباع أسلوب رياضي معين في الحساب يسمى التوسع الاضطرابي. في الحقيقة التوسع الاضطرابي الممثل في مخططات فاينمان يمكن حتى إدخاله في الفيزياء الكلاسيكية (52، 53) لكن لا أحد يحاول أن يعبر عن مخططات فاينمان الكلاسيكية هذه بمصطلح، العمليات «الافتراضية» الكلاسيكية. فلماذا إذا يسمح بهذا التعبير في فيزياء الكم؟ السبب الرئيس هو أن التفسير الأساسي لنظرية الكم لا يوفر صورة وجودية واضحة للعمليات التي تحدث في الطبيعة بالفعل، وإنما يوفر فقط احتمالات عن النتيجة النهائية لنتائج القياس. في غياب مثل هذه الصورة، الفيزيائيون يسمحون لا نفسهم أن يقدموا الصور البدهية المساعدة والتي تساعدهم على التفكير بخلاف تلك الطريقة الرسمية البحتة في فيزياء الكم. هذه الصور المساعدة في حد ذاتها

ليست خطيئة. لكن تحدث المشكلات عندما ينسى المرء لماذا تم تقديم هذه الصورة في المقام الأول ويبدأ في التفكير في هذه الصورة بشكل حرفي جدا "[1]

انطلاقا من هذا البحث نتيقّن بأنه لا وجود حقيقي لِما يُسمى بالجُسيمات الحقيقية بل هي مجرد طريقة حسابية نجدها في مخططات فانيمان وهي ليست تعبيرًا عن واقعٍ ملموس.

وحتى لو تبين بالبرهان القاطع وجودها فهذا لن يخدم المُسفسطين بأي شكلٍ من الأشكال فقد بيّنا تدليسهم وتهافت طرحهم سابقًا في هذا البحث بما يكفي من نقُولات أهل الاختصاص التي أظهرت حجم المغالطات الممارسة من طرفهم (المُسفسطين) تحت غطاء العلم التجريبي وهو منهم براء!

هل يصُوغ عقلا أن نقول بأن ميكانيكا الكم هدمَت السببية؟

القول بأن ميكانيكا الكم هدمت السببية هو اعتداء على العلم والمعرفة ناتجٍ عن جهلٍ صريح أو تدليس مُتعمّد لِنصرة أجِندةٍ معيّنة، فعالم الكم كغيره من العوالم تجده خاضعًا لقوانين طبيعية صارمة لا يتمرّد عليها مثل قانون عدم الدقة لهايزنبرغ ومُعادلات شرودينجر الشهيرة وثوابت بلانك المعروفة.

فلو صدق القول بأن ميكانيكا الكم لا تخضع للسببية فما المغزى من الجهود الضخمة المبذولة من طرف كبار العلماء من أجل فك ألغازه وتفسير ظواهره العجيبة؟! وما الجدوى من محاولة تفسير الظواهر ما تحت الذرية ومعرفة الأسباب التي تجعلها تتصرف على هذا النحو وهي كما يدّعون لا تخضع لا ي سببٍ أصلا؟!

فالجُسيمات الافتراضية التي سبق وتكلمنا عنها لن تظهر حتى تتوفر شروطٌ موجودة قبلها ومن أهمها حد أدنى من الطاقة وهذا خضوعٌ صريح للسببية، بل تلك الطاقة الضئيلة تجدها مُقيدة هي الأخرى بقانون عدم الدقة لهايزنبرغ ولا يُمكن الحياد عنه! وحتى في أحد أعجب حالات عالم الكمّ مثل التأثر اللحظي بين جسيمين (يعني أسرع من الضوء) فهو لم يخرج أيضا عن وجود سبب قبل ذلك! السلوك عجيب نعم – ولكن هناك سبب تسبب فيه!

1 Nikolić ،H. (2007). Quantum mechanics: Myths and facts. Fondations of Physics ،37 (11) ،1563-1611

ولذلك يقول العلماء: "جادل بعض الفيزيائيين بأن الاتصال الذي يجري بسرعة أكبر من الضوء يعد انتهاكًا للسببية، ولكن هذا ليس سوى خرافة"[1]

وكونَ أن ظاهرة معينة لم نجد لها تفسيرا فهذا لا يعني ببساطة أن لا سبب مسؤولٌ عن نشأتها وسلوكاتها **فعَدم العِلم ليس عِلمًا بالعدم!**

فهذا عالم الفيزياء والرياضيات الألماني الشهير ماكس بورن Max Born والحاصل على نوبل في الفيزياء عام 1954م نجده في كتابه الشهير (الفلسفة الطبيعية للسبب والصدفة) يُعقّب على خرافة سقوط السببية في عالم الكم قائلاً:" القول بأن الفيزياء قد تخلت عن السببية هو قول لا أساس له من الصحة، صحيح أن الفيزياء الحديثة قد تخلت عن بعض الأفكار التقليدية وعدلت فيها، لكن لو توقفت الفيزياء عن البحث عن أسباب الظواهر فلن تصبح حينها علماً " [2].

الشاهد من كلام بورن هو أن إخراج السببية من عالم الكوانتا عبثٌ محض وضريبته باهضة الثمن ألا وهي تعطيل عِلم فيزياء الكم نفسه ودعوةٌ إلى التحاكم بالسّحر والشعوذة رغم أن ممارسيه لم يدّعوا يوما نقض بديهيات العقل كما يفعل المحسوبين على العِلم أنفسهم! بل يؤكد علماء ميكانيكا الكم المعاصرين أنفسهم في أبحاثهم المُحكمة: "لقد اشتققنا النظرية الكمية من مبادئ معلوماتية بحتة وهي خمس مسلمات أساسية أولية: السببية...." [3]

ونختم كلامنا حول السببية ومكانيكا الكم بهذا الاقتباس المهم الذي ينبّه بضرورة التفريق بين السببية كبديهة عقلية وبين الحتمية: " السببية في مجال العلوم دائماً ما تتعلق بمبدأ السبب والنتيجة وكثيرا ما يُساء تفسيرها بطريقة ساذجة فيتم اعتبارها مرادفًا للحتمية. ومن خلال وجهة النظر هذه يمكن أن يكون من المستغرب أن نعتبر السببية هي البديهة أو المسلمة الأولى لنظرية الكم والتي اشتهرت بأنها

1 Nikolić ،H. (2007). Quantum mechanics: Myths and facts. Foundations of Physics ،37(11) ،1563-1611

2 Born ،M. (1949). Natural philosophy of cause and chance – The Waynflete lectures 1948 – p 4

3 الرابط من مكتبة جامعة كورنيل https://arxiv.org/abs/1011.6451 Informational derivation of Quantum

نظرية مبدأ عدم اليقين. لكن مع ذلك فإن السببية في صياغتنا الدقيقة تعنى أن الاتصالات في نظرية تشغيلية احتمالية (مثل نظرية الكم) لا يُمكن أن تحدث من الإخراج إلى الإدخال.."[1]

تنويه:

نبغي أن ينتبه القارئ إلى أن نفي مكيانيكا الكم للحتمية هو تفسير تتبناه **مدرسة كوبنهاغن** وليس هو التفسير المُجمع عليه من طرف جميع المدارس النظرية وإلا فإنه تفسير غير نهائي ولا مُطلق الصحة بل يُمكن القول أن المُجتمع العلمي بدأ يعيد النظر في مسألة الاعتماد عليه والالتفات أكثر نحو تفسير مدرسة **دي بروي–بوم** من ابتكار الفيزيائي لويس دي بروي وطورها ديفيد بوم لا حقًا حتى تشمل القياسات، لهذا يقول بول ديراك:" إنه يبدو من الواضح أن ميكانيكا الكم اليوم ليست على صورتها النهائية، ومن المتوقع أن تعود للصورة التي أرادها أينشتاين أي الحتمية" [2].

ما الرد على الاعتراض القائل بأن القانون الأول للديناميكا الحرارية يثبت أزلية الطاقة وبالتالي عدم خضوعها للسببية؟

الجواب:

يقولون بأن القانون الأول للديناميكا الحرارية (قانون حفظ الطاقة) الذي ينص على أن " في أي نظام معزول الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من عدم ولكن تتحول من شكل إلى آخر" هو دليل على أن الطاقة غير مخلوقة لا نها لا تستحدث ولا تنتهي وبالتالي فهي غير خاضعة للسببية! لكنهم أغفلوا عدة نقاط لو عقِلوها لما تجرأوا على طرح سفسطة بائسة مثل هذه وتتلخص هذه النقاط في الآتي:

أولا، كونهم يجهلون أن التغيُّر يُنافي الأزلية، فالذي تغير من حال إلى حال جديدة إنما وقع هذا التغيير بسبب أنه توفرت له أسباب وظروف مناسبة لم تكن في متناوله سابقا حتى ينتقل إلى الحالة الجديدة، وهذا عين الخضوع للسببية وبالتالي مناقضة صريحة لمفهوم الأزلية! وبما أن الطاقة هي موضوع نقاشنا فنوّد أن نطرح سؤالًا بريئا لمُدّعي كونها أزلية فنقول: أوليس تغير الطاقة وتحولها من

1 Chiribella ،G. ،D'Ariano ،G. M. ،& Perinotti ،P. (2012 ،March). Informational axioms for quantum theory. In FOUNDATIONS OF PROBABILITY AND PHYSICS-6 (Vol. 1424 ،No. 1 ،pp. 270-281). AIP Publishing

2 -The Early Years of Relativity ،in Special Relativity and Quantum ،p. 23

شكلٍ لا خر مقيد بمعادلة آينشتاين الشهيرة E = mc^2 والتي تنص لُغويًّا على أن الطاقة (E) تساوي الكتلة (m) مضروبة في مربع سرعة الضوء (c)، وهي تعني ببساطة أن المادة والطاقة شيء واحد؟ ما لذي سيحدث لو قررنا العبث بأحد عناصر المعادلة بأن نغير مثلا قيمة سرعة الضوء أو نقوم بنزع التربيع عنها أو نجعل الكتلة في مكان الطاقة والعكس كذلك؟! هل سيبقى مفهومنا لتحول الطاقة إلى كتلة مُنضبطًا؟ بل هل سيتحقق هذا التحول بمنتهى الدقة والضبط؟ الإجابة قطعا لا ، لأن تحول الطاقة كان ولا يزال دائما خاضعا لظروف وشروط لا يمكن تجاوزها وإلا لما استقام لنا أن نفهم هذه الظاهرة ونقوم بوصفها ببضعة حروفً وأرقام، وبالتالي فالطاقة والمادة كلاهما خاضعٌ لسلطة السببية = إذًا لا يجوز عقلا وصفهما بالأزلية!

ثانيا، من شروط عمل القوانين هو توفر المكان والزمان بل توفر العناصر التي تهدف القوانين إلى وصفها! فهل قانون حفظ الطاقة كان يعمل قبل نشأة الكون أم أنه ظهر معه في الوجود كغيره من القوانين الطبيعية التي نعرفها؟

يُجيبنا عالِم الفيزياء الفلكية الكندي هيو روس: " قبل عام 1970م، عُلماء الفلك أدركوا أنَّ للكون بداية، إلَّا أنَّهم لم يفهموا إلَّا القليل حول كيفية بداية الكون. ولكن جاء اثنان من عُلماء الفيزياء –ستيفن هوكينج وروجر بنروز– وتوصَّلا إلى أوَّل نظرية عن الزَّمكان وِفقًا لنظرية النِّسبية العامَّة. النَّظرية أثبتت أنَّه وِفق النِّسبية العامَّة الكلاسيكية، إذا احتوى الكون على كُتلة، وإذا كانت مُعادلات النِّسبيَّة العامَّة تصف ديناميكا الكون بشكل موثوق؛ فإنَّه لا بد أنَّ تكون هُناك بداية لا بعاد الكون: الزَّمان والمكان، تتزامن مع نشأة الكون"[1]

النتيجة التي يمكن أن نخرج بها من كلام هيو روس والذي يُجمع عليه أغلب علماء الفيزياء أن بداية الكون لم تكن بداية في المادة فقط – التي هي أحد أشكال الطاقة – بل كانت بداية مطلقة من اللازمان واللامكان واللامادة وبالتالي فإن ادعاء أزلية الطاقة عن طريق القانون الأول هو مُناقضة مباشرة لنظرية الانفجار الكبير التي لا قت القبول عند الأغلبية العظمى من علماء الكونيات، وهذا التناقض لا يوجد إلا

1 -Stephen Hawking and Roger Penrose ،"The Singularities of Gravitational Collapse and Cosmology ،" Proceedings of the Royal Society of London ،Series A 314 (1970): 529–48. Cited in: Hugh Ross: More Than a Theory (Revealing a Testable Model for Creation) (Kindle Locations 1520-1523). Baker Publishing Group. Kindle Edition.

في عقل الملحد المُسفسط لأن المجتمع العلمي يُدرك جيداً أن قانون حفظ الطاقة كغيره من قوانين الطبيعة لم يشتغل إلا مع بداية الكون وتمدده وبالتالي توفر المادة والمكان والزمان التي هي عناصر ضرورية لِعَمله، وهذا مفهوم لمن استوعب أول شرطٍ لعمل هذا القانون وهو " في أي نظام معزول..." فالنظام المعزول – الذي هو في حالتنا هذه الكون – هو بالضرورة نظام محدود وليس غير متناهي، وبما أن هذا النظام المعزول له بداية مطلقة وليس بأزلي كما سبق وأثبتنا في هذا البحث فإن القانون الأول للديناميكا الحرارية هو الآخر ظهر واشتغل بعد ظهور الكون بأبعاده ومادته.

كيف نرد على من يقول بأن علماء الفيزياء الكونية قد وضعوا نماذج تُفسّر نشأة الكون بعيدًا عن تدخل الإله؟!

الجواب:

المقصود هنا هو ما يُسمّى بنماذج نشأة الكون والتي تهدف إلى إعادة إقحام فكرة أزلية المادة لكن بأسلوبٍ أخبث مرتديًا زيَّ العلم التجريبي وهو منهم بريء! ونذكر من بين هذه النماذج على سبيل المثال وليس الحصر: نظرية الأوتار الفائقة، نظرية الأكوان المتعددة، نظرية التضخّم...إلخ

ونحن هنا سنتجنب الخوض في كل نموذج ومناقشته بشكلٍ تفصيلي لأن أصل هذه النماذج فاسد وهشّ وبمجرد أن نهدم الأصل فلا حاجة لنا إلى الغوص في التفاصيل والفروع، ونبدأ على بركة الله:

من المعروف أن من أهم الأُسس التي يقوم عليها المنهج العلمي التجريبي هي الرصد أو الملاحظة إلى جانب الاستقراء والقياس وهنا يحقُّ لنا أن سأل ونقول: هل بداية الكون تخضع للرصد أو الملاحظة؟!

سيجيبنا العلماء المحترمين لذواتهم الأكاديمية ب: قطعًا لا، لأن نشأة الكون تقع خارج جدران بلانك التي يتوقف عندها العلم التجريبي عاجزًا، فعلميًّا لا يمكننا أن نعرف ما ذا حصل قبل الثانية 10 أس 46- من عمر الكون! وطبعا لن نحتاج أن ننبه قارئنا الكريم بأننا لا نملك حتى قياسا على نشأة الكون فنستعين به في بقية دراساتنا وهذا أمر متوقع، فنحن قطعًا لم نشاهد أمامنا كونًا يُخلق من قبل، إذًا لا يمكننا إعمال أداة القياس هنا أيضًا!

انطلاقا مما سبق نحن أمام ظاهرة غيبية فريدة وعظيمة لا يمكن لا دواتنا العلمية التجريبية أن تحيط بها بل تقف عاجزة أمامها، لكن السؤال المُلّح إذا كان العلم التجريبي يعجز عن الخوض في مسألة بداية الكون فعلى أي أساس معرفي ارتكز عليه علماء الفيزياء الفلكية وهم يُنشؤون هذه النماذج الكونية بمنتهى الثقة؟

الإجابة قد تكون صادمة لمن يُعاني من حُمى {أنا أصدق العلم} لكن الحقيقة أن هذه النماذج كلها ترتكز على فرضيات (ركز جيدًا في كلمة فرضيات) في منتهى الضعف ولا دليل يقطع بصحتها بل لأزيدكم من الشعر بيتًا فإن البحث في نشأة الكون لن تقوم له قائمة بدون هذه الفرضيات والتخرُّصات التي لم تصل لدرجة النظرية حتى!

وأول وأشهر فرضية يقوم عليها علم نشأة الكون هي فرضية Uniformitarianis أو (الوتيرة الواحدة) وتنص هذه الفرضية على أن القوانين والآليات الطبيعية التي تعمل في الفضاء الكوني الآن كانت هي نفسها تعمل في الفضاء الكوني في الماضي وتنطبق على أي مكان فيه، ولم تتغير حتىّ! وهنا الشخص العاقل الذي لا يُعاني من دوغما العلموية من حقه أن يعترض ويقول: من أين لكم بهذه الفرضية؟! ما هو دليكم العلمي الرصدي القطعي الذي يثبت بأن القوانين والثوابت الكونية التي بين أيدينا الآن هي نفسها منذ نشأة الكون ولم تتغير من حينها؟! بل من أعطاكم الحق بادعاء أن القوانين الكونية التي نقيسها في مجموعتنا الشمسية تعمل هي الأخرى في بقية أجزاء الكون التي لا نستطع أصلا الوصول إليها وإخضاعها لأدوات علومنا التجريبية؟! العديد من الأسئلة لكن هل سنحصل على تبرير علمي مصحوب بأدلة رصدية قطعية؟ الإجابة يقينا لا بل في أحسن الأحول سيتم إغراقنا بفرضيات وخيالات جديدة بهدف ترقيع هذه الفجوات المعرفية الضخمة! يقول الفيلسوف وعالم الرياضيات الملحد برتراند راسل: "عقليًّا ليس هناك ما نع أن يكون الكون قد ظهر منذ خمس دقائق وبه آثار تدل على ما ض سحيق! " [1]

1 تحليل العقل، برتراند راسل ص159

والأمور لا تتحسن كثيرا عندما نمرُّ إلى الفرضية الثانية التي تنص على أنه ما يقع داخل الكون يجوز إسقاطه على مرحلة ما قبل نشأته، ويظهر ذلك مثلاً عندما تجد الفيزيائيين يحاولون تفسير نشأة الكون عن طريق قوانين ميكانيكا الكم ونسبية آينشتاين، لكنهم لم يخبرونا عن مبرّرهم العلمي الذي جعلهم يريدون تجسيد بداية الكون الغامضة عن طريق قوانين الكم والنسبية التي هي أصلا ظهرت معه إلى الوجود! كيف سوّلت لهم أنفسهم قياس ما قبل الكون على ما داخله من قوانين وثوابت؟!

وآخر فرضية نكتفي بطرحها والتي يقوم عليها ما يسمى بعلم نشأة الكون هي ما تنص على أن ما تجيزه المعادلة الرياضية فذاك هو الواقع! بمجرّد أن تكون المعادلة سليمة من ناحية المنطق الرياضي فهذا وحده كافٍ لاعتبار ما تصفه لنا هو حقيقة وجودية، لكننا لا نسلّم لهم بهذا الادعاء بل هو في أفضل أحواله مجرد فرضية قائمة على تعميم غير عادل. فمثلاً كون الرياضيات تجيز التعامل مع اللانهاية هل هذا يسمح لنا بادعاء أن اللانهاية موجودة في عالمنا المادي؟

إن الرياضيات هي لغة رمزية تجريدية يمكنها وصف الواقع وفي نفس الوقت يمكنها أن تصف لنا الأوهام!

يقول ستيفن هوكينغ في إطار تعبيره عن افتقار معادلات نظرية الأوتار الفائقة (التي هي معادلات صحيحة رياضيا) إلى دليل رصدي واضح: " لا أحد منّا رأى سلحفاة عملاقة تحمل كوكب الأرض على ظهرها وبنفس القياس لا أحد رأى وترًا فائقًا من قبل! " [1]

وتتعجّب أكثر لمّا تستمع للفزيائي الملحد ألكسندر فيلنكن (الذي قضى أغلب حياته المهنية محاولًا ترقيع فكرة أزلية الكون) وهو يعترف متحسّرًا: " إن النتيجة التي وصلتُ إليها أنه لا يوجد نموذج من هذه النماذج صالح للعمل، لا يوجد نموذج من هذه النماذج يستطيع تجنب أن لهذا الكون بداية! " [2]

وصدق الرب العظيم خالق الكون وما فيه عندما يقول { ما **أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** } [الكهف: 51]

1 A Brief History Of Time (Bantam ،1998) Chap 12 ،1 of 4

2 https://youtu.be/NXCQelhKJ7A

دليل الإتقان والإبداع

تعريفه وعلى ما ذا يقوم؟

يقوم البرهان ببساطة على قانون عقلي وهو أن الموجودات دالة على بعض صفات موجدها، أي أن الأثر دال على المؤثر، فلو كانت الكائنات الحية مخلوقة بقصد وإرادة من خالق عليم حكيم قدير، لزم أن تكون دالة على بعض صفات موجدها من علم وحكمة وقدرة وقصدية، وذلك عين ما نجده في الكائنات الحية من أصغر ما نعرفه إلى أكبره، وذلك منطلق من الجينوم إلى الأحماض الأمينية إلى البروتينات إلى الخلية بحد ذاتها، يقول الله عزّ وجل { **صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** } [النمل:88].

ولعلّ القارئ الكريم قد وضحت له ملامح المسار الذي سنخوضه أثناء طرحنا لهذا الدليل وأننا سنعتمد حصرًا على أمثلة ونماذج بيولوجية وذلك تطبيقًا للقاعدة القرآنية التي وجّهت البشر إلى اتخاذ أنفسهم آيةً تذكّرهم بعظمة خالقهم وفضله عليهم { **وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** } [الذّاريات: 21] فآليات تشكل البروتين والوظائف الحيوية لعضيات وأجزاء الخلية مع التناسق والتكامل الوظيفي كله يشهد بالقصدية.[1]

1 Adam Wilkins ،"A Special Issue on Molecular Machines ،" Bio Essays 25(12) (December 2003): 1 146

إننا نعلم الآن أن كل عملية رئيسية تقريباً في الخلية تتم بواسطة مجموعات من عشرة جزيئات بروتينية أو أكثر. وبينما تقوم هذه المجموعات بوظائفها البيولوجية، تتفاعل كل منها مع عدة مجمعات بروتينية كبيرة أخرى. والواقع أن الخلية بأكملها يمكن أن ننظر إليها باعتبارها مصنعاً يحتوي على شبكة معقدة من خطوط التجميع المتشابكة، وكل منها يتألف من مجموعة من الآلات البروتينية الضخمة... لماذا نطلق على المجموعات البروتينية الضخمة التي تشكل أساس وظائف الخلية اسم الآلات البروتينية؟ وذلك على وجه التحديد لأن هذه المجموعات البروتينية، مثل الآلات التي اخترعها البشر للتعامل بكفاءة مع العالم العياني، تحتوي على أجزاء متحركة منسقة للغاية. وداخل كل مجموعة بروتينية، لا تقتصر التصادمات بين الجزيئات على مجموعة صغيرة من الاحتمالات فحسب، بل إن التفاعل ج يعتمد على التفاعل ب، والذي يعتمد بدوره على التفاعل أ ـــ تماماً كما يحدث في آلة من تجاربنا المشتركة.	we now know that nearly every major process in a cell is carried out by assemblies of 10 or more protein molecules. And، as it carries out its each of these biological functions، protein assemblies interacts with several other large complexes of proteins. Indeed، the entire cell can be viewed as a factory that contains an elaborate network of interlocking assembly lines، each of which is composed of a set of large protein machines…Why do we call the large protein assemblies that underlie cell function protein machines? Precisely because، like the machines invented by humans to deal efficiently with the macroscopic world، these protein assemblies contain highly coordinated moving parts. Within each protein assembly، intermolecular collisions are not only restricted to a small set of possibilities، but reaction C depends on reaction B، which in turn depends on reaction A—just as it would in a machine of our common experience

المرجع [1]

1 Bruce Alberts، "The Cell as a Collection of Protein Machines: Preparing the Next Generation of Molecular Biologists،" Cell 92 (8 February 1998): 291

لكن كما هو متوقع من الطرف الملحد وهو طرحه للاعتراض الأكثر تواجدا في الســاحة وهو دعوى تطور الأنظمة المعقدة من أنظمة بيدائية إلى ما هي عليه بخطوات تدريجية وطفرات ع شوائية وانتخاب طبيعي أعمى، فما الرد على ذلك؟؟

وهنا تتدخل الصــدمة أن الكائنات الحية ليس فيها أنظمة بدائية إطلاقا بل التعقيد الموجود فيها هو غير قابل للاختزال وهو لا زم، فالخلية مثلا تحتمل حدا أدنى من الجينات أي حد أدنى من التعقيد وهو حد يُحيل أي قيمة للعشــوائية والتدريجية، "بعض المراجع تقول 250 والبعض 300 ويرفعها البعض لا كثر" [1]

بل في الكائنات الحية ما نســميه بالتعقيد الغير القابل للاختزال الذي يحيل أي أمل للعشــوائية، وأي أمل للتطور، أشار الرياضي دمسكي في ورقته العلمية إلى إحالة رياضية تبلغ المستحيل الرياضي لتشكل هذا النوع من التعقيد بآلية عشوائية.[2]

بعض الأمثلة الدّاعمة لفكرة التعقيد الغير قابل للاختزال وقطع الطريق أمام دعاة العشوائية والصُّدفية:

المثال الأول: السوط البكتيري Bacterial flagellum

1 المرجع الأول - https://www.sciencedaily.com/releases/1999/12/991213052506.htm

https://www.annualreviews.org/content/journals/10.1146/annurev.genom.1.1.99?fbclid=IwY2xjawFLoM9leHRuA2FlbQIxMQABHSlBjGhBOFmsA_yt6y0uM2b30H-

المرجع الثاني 0qytDlPxh_vsHtNYaVyJSHY4YcJnWaw_aem_EkG_IlN0Da5GHHKJPLGuKg

2 https://philpapers.org/rec/DEMICR?fbclid=IwZXh0bgNhZW0CMTAAAR2wf9qIKlY4UC3CfmqtZiJkJfWeMasE8K52maIRERoSImKcFRwy6K9X9T8_aem_ATZG012_ToVRvMGuxBn_vZXR9OmyV1AhzCV-cfxxHeb-FweUYcoT01KkGse3m8Yf2s0snRYZEN6J1VT3crNljZ4V

الذي وصفه عالم الأحياء هوارد بيرج بأكثر الآلات كفاءة في العالم

السـوط البكتيري هو مثال رائع عن التعقيد، يشبه إلى حد ما المحرك، إذا نزعت منه أحد أجزائه سـيدمر ذلك الأطر الوظيفية له بالكامل.

وقد جاء في بحث علمي منشـور من مجلة science العالمية متحدثة عن السوط البكتيري[1]:

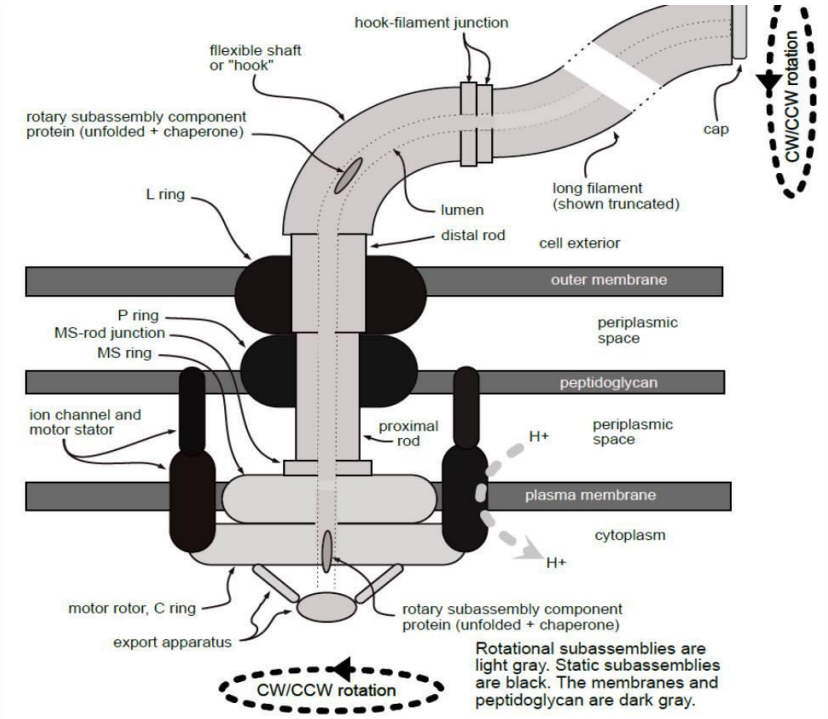

"إن سـوط البكتيريا يمثل نظامًا حيث يمكن حتى للانحرافات الصغيرة عن عملية تجميع السوط المنظمة للغاية أن تلغي الحركة وتسبب نتائج فسيولوجية سلبية. وبالتالي، فإن البكتيريا... [تمتلك] آليات تنظيمية قوية لضمان أن يتبع تكوين السوط مسارًا محددًا، مع تجميع كل مكون ذاتيًا لا بعاد محددة مسبقًا.""	"The bacterial flagellum exemplifies a system where even small deviations from the highly regulated flagellar assembly process can abolish motility and cause negative physiological outcomes. Consequently, bacteria ... [possess] robust regulatory mechanisms to ensure that flagellar morphogenesis follows a defined path, with each component self-assembling to predetermined dimensions."

قام الدكتور شـوارتز كذلك بدراسة البنى الهندسية للسـوط البكتيري في ورقتين بحثيتين كلا البحثين أظهرا تعقيدات حيوية تكاملية في السوط البكتيري غير قابل للاختزال.[2]

1 Eli J. Cohen et al. ،Nanoscale-length control of the flagellar driveshaft requires hitting the tethered outer membrane.Science356 ،197-200(2017)

2 Waldean A Schulz،An Engineering Perspective on the Bacterial Flagellum: Part 1 - Constructive View،BIO-Complexity ،Vol 2021
https://bio-complexity.org/ojs/index.php/main/article/view/BIO-C.2021.1?fbclid=IwY2xjawFLnkRleHRuA2FlbQIxMQABHeJ75KsV2Is4FROFuUxjsLJ0ULgYxQ9d1H0pyduPX2CPxUD_bM8i8FZhAw_aem_up1_sM_7CKQC9_n-esWYxQ

المثال الثاني: التعقيدات الغير قابلة للاختزال في نظام الولادة:

سنقوم بمقارنة سريعة في التغيرات الفيسيولوجية الحادثة بعد الولادة بما قبل الولادة كمثال على التعقيدات الغير قابلة للاختزال:

بعد الولادة، يتبع الجهاز الدوري مسارًا معروفا، يحفظه كل طالب في الطب الحيوي. إذا كانت هذه منطقة غير مألوفة بالنسبة لك، أقترح الرجوع إلى الرسم التخطيطي التالي للقلب أثناء قراءتك

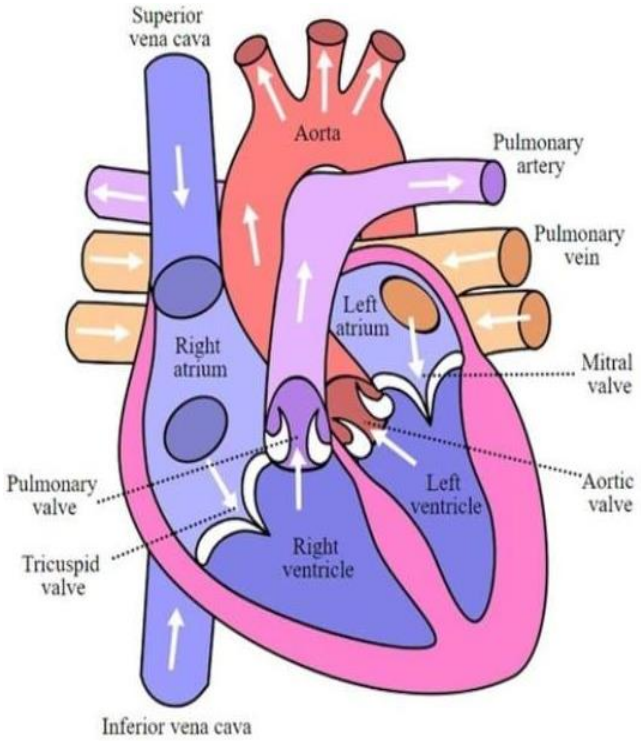

ومن أهم التغيرات الحادثة أثناء الولادة التغيير الرئيسي الأول يتعلق بالرئتين، والتي تظل منهارة وغير نشطة حتى الولادة. يتسبب التنفس الأول الذي يأخذه الطفل بعد الولادة في سلسلة من التغيرات الفسيولوجية في الرئتين، مما يؤدي إلى تضخم الحويصلات الهوائية وبدء وظيفة التنفس. عندما يمر الطفل عبر قناة الولادة، يتم الضغط على صدره. يساعد هذا التغيير في الضغط وضغط الصدر على طرد بعض السوائل الموجودة في الشعب الهوائية والرئتين. مع خروج الطفل إلى العالم الخارجي، تحدث تغيرات كبيرة في مستوى ثاني أكسيد الكربون والأكسجين في مجرى الدم. أثناء المخاض، يستمر الطفل في تلقي الأكسجين من مشيمة الأم. ولكن بعد الولادة، تنقطع الدورة الدموية في المشيمة، مما يؤدي إلى انخفاض إمدادات الأكسجين. يتم استشعار هذا الانخفاض في مستويات الأكسجين وتراكم ثاني أكسيد الكربون في مجرى الدم بواسطة مستقبلات كيميائية متخصصة في جسم

أيضا: Part 2 – Analytic View

https://bio-complexity.org/ojs/index.php/main/article/view/123?fbclid=IwY2xjawFLnq1leHRuA2FlbQIxMQABHYDmvMI-UQisSBQJEqhLqODtIJPgfUFaftjQ51FYfI9DNQINOHdKexWaGg_aem_9q73OY_gHTCM0FjQHrpopg

الطفل. عندما يتلامس الطفل مع الهواء البارد والبيئة، يتم تحفيز جلده ونهاياته العصبية، مما يؤدي إلى استجابات انعكاسية، بما في ذلك اللهاث وأخذ النفس الأول. ترسل مستقبلات التمدد في الرئتين إشارات إلى جذع الدماغ، والتي بدورها تثبط مراكز الجهاز التنفسي التي تتحكم في التنفس. يمنع هذا المنعكس التوسع المفرط للرئتين ويحافظ على وظيفة الرئة المناسبة. إذا فشلت مستقبلات التمدد هذه، يمكن أن تكون النتيجة تضخمًا مفرطًا للحويصلات الهوائية أثناء الاستنشاق، مما يؤدي إلى تمزق السنخ وانهياره.

مع تمدد الرئتين، يتم دفع سائل رئة الجنين إلى الخارج، وامتصاصه أو طرده من الشعب الهوائية للطفل. بعد الولادة، يتم تطهير الرئتين تدريجيًا من سائل الرئة الجنيني، وبمساعدة الفاعل بالسطح، تبدأ الرئتان في أداء الوظيفة الأساسية لتبادل الغازات. يعد الانتقال من حالة رئة الجنين غير الوظيفية إلى حالة الرئة البالغة وظيفتها بالكامل أحد أهم التغيرات الفسيولوجية التي تحدث أثناء عملية الولادة.

- **إغلاق الثقبة البيضوية:**

هناك فتحة مؤقتة بين الأذين الأيمن والأيسر تسمى الثقبة البيضوية، والتي تسمح لجزء من الدم المؤكسج من الأذين الأيمن بالمرور مباشرة إلى الأذين الأيسر، متجاوزًا رئتي الجنين غير العاملين. عندما يأخذ الطفل أنفاسه الأولى، يؤدي توسع الرئة وزيادة أكسجة الدم إلى تغييرات في ديناميات ضغط القلب. يؤدي زيادة الدم المؤكسج العائد من الرئتين إلى الأذين الأيسر إلى زيادة ضغط الأذين الأيسر، بينما يؤدي انخفاض تدفق الدم غير المؤكسج من الجسم إلى الأذين الأيمن إلى تقليل ضغط الأذين الأيمن. تتسبب هذه التغيرات في الضغط في إغلاق الفتحة بديلة الأنسجة المرنة التي تغطي الثقبة البيضوية، والمعروفة باسم الحاجز الأولي. يندمج الحاجز الأولي مع الحاجز الثانوي، وهو هيكل يشبه الغشاء الصلب، يختم بشكل فعال الثقبة البيضوية ويخلق قسمًا صلبًا بين الأذينين. يمنع هذا الفصل اختلاط الدم المؤكسج والدم غير المؤكسج، مما يضمن أن كل الدم يتدفق عبر الدورة الدموية الرئوية لتزويده بالأكسجين عن طريق الرئتين.

● **إغلاق القناة الشريانية:**

القناة الشريانية عبارة عن وعاء دموي قصير يربط الشريان الرئوي بالشريان الأورطي النازل، متجاوزًا رئتي الجنين غير العاملين. تسمح هذه التحويلة لجزء من الدم يترك البطين الأيمن بالتدفق مباشرة إلى الدورة الدموية الجهازية. بعد الولادة، عندما يأخذ الطفل أنفاسه الأولى وتتوسع الرئتان، تزداد مستويات الأكسجين في مجرى الدم بشكل ملحوظ. تؤدي زيادة مستويات الأكسجين إلى انقباض القناة الشريانية وإغلاقها في نهاية المطاف. في غضون 12 إلى 24 ساعة بعد الولادة، تخضع القناة الشريانية لعملية تسمى الإغلاق الوظيفي، حيث تنقبض العضلات الملساء في جدار الوعاء الدموي وتغلق الممر. على مدار الأسبوعين أو الثلاثة أسابيع التالية، تخضع القناة الشريانية لإغلاق دائم من خلال التليف وتصبح في النهاية رباطًا يسمى الرباط الشرياني.

يوضح الشكل التالي موقع الثقبة البيضوية والقناة الشريانية وحالتها في قلب الجنين وحديثي الولادة على التوالي:

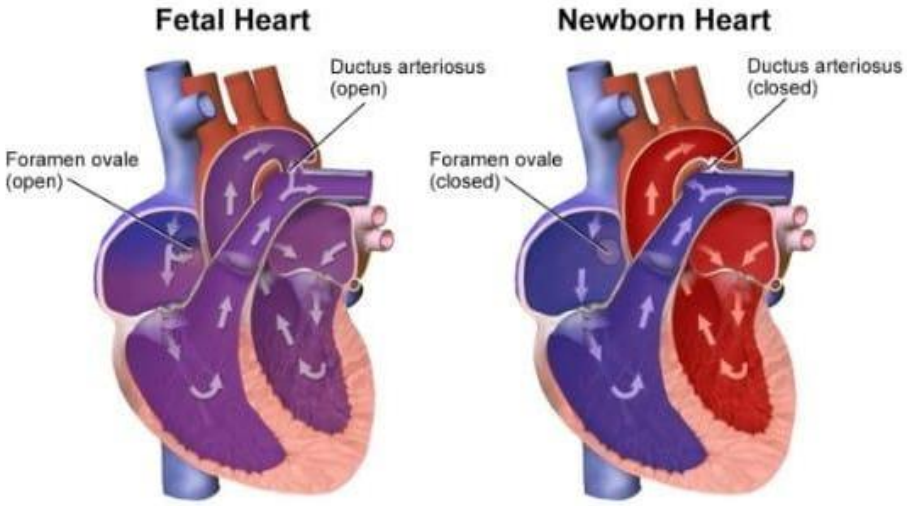

■ **الآن:** تعد هذه التغييرات في الرئتين والصمامات والأوعية الدموية أثناء عملية الولادة أمرًا بالغ الأهمية لانتقال الطفل الناجح إلى العالم الخارجي وإنشاء نظام دوري يعمل بكامل طاقته وغير متحرك. من خلال إغلاق الثقبة البيضوية والقناة الشريانية بشكل فعال، يكون قلب الطفل ونظام الدورة الدموية

على استعداد للقيام بأدوار التبادل الفعال للغازات عبر الرئتين وتوصيل الدم المؤكسج إلى جميع الأعضاء والأنسجة، مما يدعم حياة الطفل المستقلة خارج الرحم.

ومن تصريحات الطبيب الطبي الدكتور ديفيد جالوي:

" إلى جانب علم وظائف الأعضاء المذهل، نأتي إلى لغز آخر. من الواضح أن نظامًا كهذا يجب أن يعمل مباشرة من الكتل. إذا فشل أي مكون مهم لا ي سبب من الأسباب، أو شذوذ تشريحي أو خطأ كيميائي حيوي أو فشل في الإشارة، فلن تتعرض التغييرات المختلفة للخطر فحسب، بل إن بقاء الطفل المولود حديثًا سيكون مهددًا بشكل خطير. الحقيقة المذهلة هي أن آلاف الأطفال يتنقلون في هذه المنطقة الخطرة، كل دقيقة وكل يوم. إذن، بالنظر إلى فهمنا الحالي لا صل الأنظمة المعقدة في علم الأحياء، كيف يمكن لمثل هذا الترتيب الرائع أن يتطور؟ "[1]

المثال الثالث: أسمي هذا المثال قلب عربة التفاح:

قبل سنة 2014 اشتهر بين أتباع التطور القول بأثرية عظام الحوض عند الحيتان، حاليا تظهر الأبحاث الأحدث أن عظام الحوض ليست وظيفية ومعقدة فحسب بل لها تكاملات محددة مع الأعضاء التناسلية تبلغ التعقيد الغير قابل للاختزال ومثال ذلك إشارة دراسة حديثة إلى ارتباط كبير بين حجم الخصيتين والحجم المركزي لعظام الحوض (الارتباط ρ = 0.67، فاصل زمني موثوق بنسبة 95٪: 0.25–0.90)."

وكل ذلك يحدث بآلية دقيقة جدا تستلزم تزامنا فتكون من جنس التعقيدات اللازمة هنا.

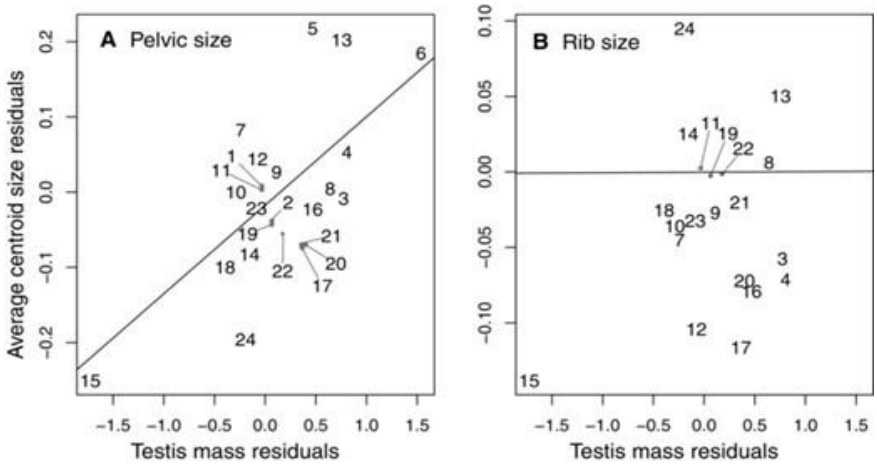

1 Galloway ،D. Design Dissected — Is the Design Real? A Clinical Look at Life's Complexity ، Design ،and Ultimate Causation (John Ritchie Publishing ،2021).p 137-138

حســنا ما ذا يدل ذلك؟! يدل على عمل تكاملي متزامن هو من جنس التعقيدات الغير قابلة للاختزال في النظام![1]

الخلاصة النهائية مما سبق:

الشـك في الإتقان والقصـدية هو عين الشـك في قيمة العقل، عين سـد باب المعرفة وهو محال! مما يعني أن الشك في الإتقان والضبط إقرارٌ بالعشوائية وما دام العقل داخلًا في نتاج العشوائية وعشوائي بهذا التعريف دلّ ذلك على عدم قيمته وعدم قيمة أي معارف يتلقاها وهذا نسـميه سـد باب المعرفة وهو محال!

1 James P. Dines ،Erik Otárola-Castillo ،Peter Ralph ،Jesse Alas ،Timothy Daley ،Andrew D. Smith ، Matthew D. Dean ،Sexual selection targets cetacean pelvic bones ،Evolution ،Volume 68 ،Issue 11 ، 1 November 2014 ،Pages 3296–3306

دليل العناية

ما المقصود بدليل العناية؟

الجواب:

ويراد بالعناية ما نشهده ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عموما، وبالإنسان على وجه الخصوص، والذي يتجلى فيما نراه وندركه من موافقة هذه الموجودات للإنسان أتم الموافقة، وكذلك في موافقة هذه الموجودات بعضها البعض.[1]

ماهي الأصول التي يُبنى عليها دليل العناية؟

الجواب:

دليل العناية مبني على أصلين:

الأصل الأول: أن جميع المخلوقات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان مهيأة له ومُسخّرة لخدمته.

الأصل الثاني: أن هذا التسخير والموافقة يدُلّان بالضرورة على وجود خالقٍ مُريدٍ لعباده الخير، خبيرٌ بما يُصلح شأنهم وينفعهم.

هل تمت الإشارة إلى هذا الدليل في القرآن الكريم؟

الجواب:

جاء ذِكر هذا الدليل بصيغة جامعة مُجملة تُشير إلى أن عناية الله بالإنسان تعُمُّ كل ما حوله، يقول الله تبارك وتعالى:{ **وَسَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لا يَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الجاثية: 13]

وسيأتي في بقية البحث الاستدلال على أُصول هذا الدليل عن طريق سرد لبعض مظاهر التسخير والعناية بالإنسان، مع الإشارة إلى النصوص الشرعية لكون هذه الأخيرة أدلة نقلية وعقلية في نفس الوقت.

---

1 الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد للدكتور عبد العزيز العريفي ص226

الأصل الأول: أن جميع المخلوقات مهيأة لوجود الإنسان ومُسخّرة لخدمته.

بعض مظاهر العناية في الكون:

سرعة التمدد الكوني: يتوسع الكون بمعدل متسارع، حيث يعتقد العلماء أنه تأثير يرتبط بكيان غريب نوعا ما، وهي الطاقة المظلمة المرتبطة بالفضاء نفسه. يمكن أن تقترح فيزياء الكوانتم مصدرًا ممكنا لهذه الطاقة، فالفراغ هو الحالة الأدنى من الطاقة للنظام، ولكنه ليس حالة فارغة لا يحدث فيها شيء (لا يسمح مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج بحالة خامدة تمامًا يمكن للشخص فيها أن يعرف ما يحدث وسرعته)، وهو ما ترتب عليه ظهور تقلبات مستمرة للفراغ في الكيانات، وتختفي بنشاط دون توقف. يولد ذلك طاقة الفراغ التي تملأ الفراغ، وينتج تقدير حسابي لحجم طاقة الفراغ هذه رقما مرتفعًا جدا، فالطاقة المظلمة المشاهدة هي أصغر من هذا التوقع بمقدار 10^{120}!

إذا لم يكن الكون مضبوطًا لهذه الدرجة المذهلة.. فإما أن يتبعثر الكون أو أن ينهار (اعتمادًا على الطاقة الغالبة) بسرعة لا تصدق، والتي تقضي تماما على أي احتمال لنشأة الحياة فيه![1]

ويُؤكّد بول ديفيز الفيزيائي الشهير على هذه الحقيقة مُصرّحًا:" لقد دلت الحسابات على أن سرعه توسع الكون تسير في مجال حرج للغاية، فلو توسع الكون بشكل أبطأ بقليل جدا عن السرعة الحالية.. لتوجه إلى الانهيار الداخلي بسبب قوة الجاذبية، ولو كانت هذه السرعة أكثر بكثير من السرعة الحالية.. لتناثرت ما ده الكون وتشتت ولو كانت سرعة الانفجار تختلف عن السرعة الحالية بمقدار جزء من مليار جزء.. لكان هذا كافيًا للإخلال بالتوازن الضروري. لذا؛ فالانفجار الكبير ليس انفجارًا اعتياديا بل عملية محسوبة جيدًا ومنظمة من جميع الأوجه"[2]

درجة حرارة الكون: الكون المبكر (في أول ثلاثة دقائق من حياته) كان نوعا من القنبلة الهيدروجينية الكونية = حار بما يكفي لحدوث التفاعلات النووية في كل مكان فيها. لكن توقفت هذه التفاعلات عندما بَرُدَ التوسع دون درجة الحرارة اللازمة لها بعد أن شكلت أبسط عنصرين – وهما:

1 William. L. Craig & Chad Meister (2009). God Is Great ،God Is Good Why Believing in God Is Reasonable and Responsible. p. 69–70.

2 Paul Davies ،Superforce: The Search for a Grand Unified Theory of Nature ،New York: Simon & Schuster ،1984 ،p. 184

الهيدروجين والهيليوم –، فلديهم قدرة كيميائية مثيرة جدا لا نتاج شيء رائع كالحياة بالنسبة للعديد من العناصر الأخرى اللازمة – خصوصا الكربون – والتي تعد أساسية لتشكيل الجزيئات طويلة السلسلة، والتي تشكل الأساس الحيوي الكيميائي للحياة.[1]

درجة حرارة الكون خلال أول نصف ساعة كانت فوق 50 مليون درجة مئوية. عند هذه الدرجة البروتونات ذات الشحنة الموجبة (نوى الهيدروجين) استطاعت أن تصطدم بين حين وآخر مع ما يكفي من الطاقة؛ لتلاشي التأثيرات الكهروستاتيكية الطاردة – ذات الشحنات الموجبة مثلها – والعوازل معا لتشكيل الهيليوم، عملية الاندماج البسيطة هذه هي سر النجوم، وهي سبب كون سماء الليل غير مظلمة، وهي السبب في عدم تجمد سطح الأرض، وهي سبب إمكانية وجود الكواكب، وهي أيضا مصدر الطاقة التي تقوي الحياة على الأرض.[2]

الأبعاد الكونية: من بين جميع الأكوان الممكنة التي قد توجد (كل منها ممتلكا لمجموعة قوانين وقوى فريدة)، فإن أنماطاً محددة فقط من الأكوان سوف تكون متلائمة مع الحياة على الشاكلة التي نفهمها. على سبيل المثال: في كون لديه فقط بعدان فضائيان، فإن الكائن الذي يمتلك سبيلا هضميًا سوف ينشطر في هذه البنية إلى نصفين![3]

وفي كون لديه أكثر من ثلاثة أبعاد فضائية، فإن الإلكترونات والمدارات الكوكبية سوف تكون غير مستقرة، وبالتالي فلن توجد الذرات والأنظمة الكوكبية.[4]

بعض مظاهر العناية داخل مجرّتنا "مجرّة درب التبانة":

نوع المجرّة: مجرتنا هي مجرة حلزونية (هناك أنواع أخرى، مثل: المجرات الإهليلجية وغير النظامية). في معظم المجرات تركيز النجوم يكون أعلى في الوسط ويقل بعيدا عن المركز. مجرّتنا لها

1 William. L. Craig & Chad Meister (2009). God Is Great ،God Is Good Why Believing in God Is Reasonable and Responsible. p. 68

2 Peter Ward & Donald Brownlee: Rare Earth ،Why Complex Life Is Uncommon in the Universe ، Copernicus Books ،2000 ،p38-39

3 Hawking ،S. (1988). A Brief History of Time from the Big Bang to Black Holes. New York: Bantam Books.p. 164

4 John D. Barrow (1994). The Origin of the Universe. New York: Basic Books. P. 132

قطر بنحو 85000 سنة ضوئية. تبعد شمسنا حوالي 25000 سنة ضوئية من المركز في المنطقة الواقعة بين الأذرع الحلزونية حيث كثافة النجوم منخفضة جدا بالمقارنة مع المناطق الداخلية الأكثر ازدحاما، وفي هذا الموضع ندور ببطء حول المحور المركزي للمجرة.[1]

ليست الأرض في موضع نادر من المجرة فحسب، بل من حسن الحظ أيضا وجودها في مجرة حلزونية بدلا من مجرة إهليلجية.

المجرات الإهليلجية هي مناطق يصاحبها القليل من الغبار الذي (على ما يبدو) يحمل القليل لتشكيل نجم جديد فمعظم النجوم في المجرات الإهليلجية قديمة قدم الكون تقريبا، كما أن وفرة العناصر الثقيلة منخفضة خلالها، وعلى الرغم من احتمالية وجود الكويكبات والمذنبات بها. فمن المشكوك فيه أن هناك كواكب كاملة الحجم.[2]

توزيع النجوم في المجرة: إن المسافات بين نجوم السوبرنوفا – وبالحقيقة بين كل النجوم – مسافات حرجة لا سباب أخرى أيضًا، فالمسافة بين نجوم مجرتنا تساوي 30 مليون ميلا بالتقريب، ولو كانت أقصر من ذلك.. لاضطربت أفلاك (مدارات) الكواكب. وبالمقابل لو كانت المسافات بين النجوم أبعد.. لذهب الحطام الناشئ عن انفجار النجوم هباءً في الكون، فكل الاحتمالات الممكنة لن تُشكل منه أنظمة كوكبية كنظامنا الشمسي مطلقًا.[3]

إن أي نجم سيتحول إلى السوبرنوفا ربما ستصبح الحياة عقيمة داخل دائرة نصف قطرها سنة ضوئية من الانفجار، وسيؤثر على الحياة في الكواكب بقدر 30 سنة ضوئية. عدد النجوم الكبير في مراكز المجرات يزيد من فرص تواجد سوبرنوفا مجاورا، شمسُنا وكوكبنا محميان ببساطة عن طريق ندرة النجوم من حولنا.[4]

---

1 Peter Ward & Donald Brownlee: Rare Earth ،Why Complex Life Is Uncommon in the Universe ، Copernicus Books ،2000 ،p27

2 نفس المصدر السابق ص 29

3 H. Ross (1989) The Finger of God (Orange ،Calif: Promise Publishing Co.) ،p.127

4 Peter Ward & Donald Brownlee: Rare Earth ،Why Complex Life Is Uncommon in the Universe ، Copernicus Books ،2000 ،p28

بعض مظاهر العناية حول وجود النجوم:

ضوء النجوم: رغم أن الرؤية عالية الدقة ليست ضرورية حتمًا لكل أشكال الحياة على الأرض، فإن الوجود الإنساني غير متصوّر، دونها، وفي حين تعتمد الأنواع الأخرى – كالإنسان – على الرؤية للبقاء، فإن الرغبة البشرية في الحصول على المعرفة غير ممكنة التحقيق بغياب نعمة البصر كما يقول أرسطو، وهو محق في ذلك، في بداية كتابه الميتافيزيقا.. فكل معرفتنا بالعالم، ومعرفتنا العلمية بالأخص قد حصلناها عمليا عبر القرون الأربعة الماضية بالاعتماد الكبير على امتلاكنا أعينا ذات قدرة عالية على التمييز الضوئي، أو عالية الدقة البصرية وقادرة بالتالي على التقاط صور دقيقة التفاصيل وغنية بالمعلومات من حولنا، كذلك.. فضوء النجوم لا يقل عن الماء أهمية، فهو ملائم جدا للحياة، وبطرق متنوعة جدا كما في حالة الماء، فلا ترتبط هذه الملاءمة فقط بالحياة الميكروبية البسيطة، ولكن بالكائنات المعقدة الكبيرة كالإنسان، وضوء النجوم الملائم لتوفير الدفء الذي تعتمد عليه كل الحياة على سطح الأرض، والملائم كذلك للتركيب الضوئي الذي ينتج الوقود الكربوني المختزل، والذي توفر أكسدتُه الطاقة لكل أشكال الحياة على الأرض، والملائم للرؤية أيضًا، وهو التكيف الرئيسي الذي استطاع به نوعنا التعرف على العالم.[1]

تحديد الاتجاهات: من دون أن ننسى أن النجوم في حد ذاتها كانت ولا تزال تمثل منفذًا للنجاة في حالة ضياع الإنسان في الصحاري الخالية والمحيطات الواسعة، خاصة إذا أغلقت أمامه جميع المنافذ من بوصلات وخرائطٍ إلكترونية (GPS)...الخ

فكل ما نحتاج إليه هو العثور على نجم أعلى مباشرة من المكان الذي نحتاج إلى الوصول إليه، وسيشير بالضبط إلى الاتجاه الصحيح بالنسبة لنا، من ربع الكرة الأرضية بعيدا، فإذا اتصلت بصديق على الهاتف كان في بلد آخر على بعد بضعة آلاف من الأميال، وطلبت منه تسمية النجمة التي تقع فوق رأسه مباشرة، يمكنك حينئذ العثور على هذا النجم في سماء الليل في الأفق، أدناها مباشرة سيكون اتجاهها الدقيق منك لكن بعد ذلك ببضع دقائق هذا النجم سيكون قد تحرك وهكذا ستحتاج إلى نجمة جديدة، سوف يستغرق الأمر الكثير من المكالمات الهاتفية لاستخدام هذه الطريقة مع معظم النجوم، لكن

1 Denton J. Michael (1998). Nature's Destiny: How the Laws of Biology Reveal Purpose in the Universe. New York: The Free Press. p70

لحســن الحظ هناك نجمة واحدة في ســماء الليل لا يبدو أنها تتحرك، يطلق عليهاPolaris ، أو North Star.

أسهل طريقة للعثور على نجمة الشمال هي من خلال العثور على"Plough" ، وهي مجموعة سهلة التحديد من سبعة نجوم، المعروف باسم "الدب الأكبر"، والسبب في أن نجم الشمال مهم جدا للملاحة الطبيعية هو أنه يقع مباشـرة فوق القطب الشـمالي، الشـيء الذي ينسـاه الناس في كثير من الأحيان هو أنه كلما حاولت العثور على الشــمال الحقيقي، فأنت تحاول فعلا العثور على اتجاه القطب الشــمالي من أينما كنت – حتى لو كنت تتجه فقط بضع مئات من الأمتار في نزهة لطيفة.[1]

فسـبحان اللطيف الخبير إذ يقول في محكم التنزيل **{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }** [الأنعام: 97]

بعض مظاهر العناية داخل نظامنا الشمسي:

نوعية النظام الشمسي: أي نظام شـمسـي متعدد النجوم لن يسـمح بتطور الحياة... في الواقع: يمكن للكوكب – في هذا النظام – أن يتمتّع بطقس لطيف أثناء دورانـه حـول عدة نجوم لفترة على الأقل، ولكنَّ انتظام الحرارة لمدة طويلة من الزمن هو الوضــع الذي يبدو ضــروريًا للحياة، وهو ما ســيكون بعيد الاحتمال. ولفهـــم السبب.. علينا الاطلاع على ما يحدث في أبسـط أنواع الأنظمة متعددة النجوم وهو النظام ذو الشمسين الذي يُسمَّى بالنظام الثنائي. إن نصف النجوم الموجودة في السماء تقريبًا تعتبر أعضاء في تلك الأنظمة، ولكن حتّى أبســط تلك الأنظمة الثنائية يمكنها الحفاظ على نوعية معيّنة من المدارات المستقرة فقط، ففي كل هذه المدارات لا بُدَّ أن يتوفّر الوقت للكوكب ليكون ساخنًا جِدًّا أو باردًا جدًا من أجل الحفاظ على الحياة. حتى إنَّ الوضــع يكون أســوأ بالنســبة للمجموعات متعددة النجوم. فإذا كان هناك أكثر من نجم فإن تفاعلات المد والجزر ســتجعل مدارات الكواكب الداعمة للحياة غير مســتقرة. وإذا لم يوجد النجم فلن يكون هناك مصدر حرارة متاح لكيمياء الحياة.[2]

1 https://www.naturalnavigator.com/find-your-way-using/stars /

2 Schlovskii ،I.S. and C. Sagan. 1966. Intelligent life in the universe. Holden- Day ،San Francisco ، CA ،pp. 343–350

كتلة الشمس: فكتلة الشمس – النجم الخاص بالأرض – مثلا إذا كانت أكبر.. فإن لمعانها سيكون متقلبا جدا، وستصبح نجما يحترق بسرعة كبيرة جدا، فلا يدعم وجود حياة. وإذا كانت كتلة الشمس أقل.. فإن منطقة دعم الحياة ستكون ضيقة جدا، كما أن فترة دوران الكوكب الداعم للحياة – الأرض – لن تكون طويلة بما يكفي، والأشعة فوق البنفسجية لن تكون كافية لعملية التمثيل الضوئي الخاصة بالنباتات.[1]

وجود كوكب المشتري: يلعب كوكب المشتري دورا مركزيا في النظام الشمسي؛ حيث يتسبب وجوده في ثبات مدارات كواكب النظام الشمسي. ولم يكن حجم المشتري وضخامته عبثا، فبدون وجود كوكب ضخم متوقع بدقة كالمشتري.. فإن الأرض كانت ستصطدم في الماضي آلاف المرات بشكل متكرر بالمذنبات والشهب وغيرها من الحطام بين الكواكب، فإذا لم يكن المشتري موجودًا فلن نكون موجودين لندرس أصل النظام الشمسي.[2]

كذلك يحافظ وجود المشتري على صلاحية كوكب الأرض لوجود الحياة على سطحه، ويوجد المشتري على مسافة دقيقة من الأرض، فإذا كانت الأرض أقرب قليلا إلى كوكب المشتري، أو إذا كان المشتري ذا كتلة أكبر إلى حد ما.. فإن تأثير كوكب المشتري الذي أجهض تشكيل كوكب (الكويكب) وتشكيل (المريخ) تقريبا يمكن أيضا أن يؤثر على الأرض مما يجعله كوكبًا أصغر، وإذا كانت الأرض أصغر فإن الغلاف الجوي، والغلاف المائي، وبالتالي ملاءمة الحياة على المدى الطويل.. كان يمكن أن تكون بالتأكيد أقل مما هو مطلوب.[3]

بعض مظاهر العناية الظاهرة المتعلقة بكوكب الأرض:

وجود القمر: يلعب القمر ثلاثة أدوار محورية، والتي تؤثر على تطور وبقاء الحياة على الأرض، فهو يُسبب المد والجزر القمري، ويُسبب استقرار ميل دوران الأرض حول محورها، ويبطئ معدل دوران

---

1 نفس المصدر السابق ص 343-350

2 George W. Wetherill ،How Special Is Jupiter? ،Nature ،Vol.373 ،1995 ،470

3 Peter Ward & Donald Brownlee: Rare Earth ،Why Complex Life Is Uncommon in the Universe ، Copernicus Books ،2000 ،p237

الأرض. علاوة على ذلك، فإن الأهم هو تأثيره على زاوية إمالة محور دوران الارض نسبة إلى مستوى مدارها، وهو ما يسمى (بالانبعاج) (obliquity) الذي يسبب التغيرات الموسمية.

بالنسبة لمعظم تاريخ الأرض في الآونة الأخيرة لم يختلف الانبعاج بأكثر من درجة أو اثنتين من القيمة الحالية لـــ 23 درجة. على الرغم من أن اتجاه «الإمالة» يختلف على مدى فترات من عشرات الآلاف من السنين حيث التذبذب الكوكبي، فإن زاوية الميل نسبة إلى المستوى المداري تبقى ثابتة تقريبا.[1]

علاقة الفصول الأربعة بمدار كوكب الأرض: تتحدّد أشكال الطقس الموسمية على الأرض أساسًا حسب ميل محور دورانها بالنسبة لمستوى مدارها حول الشمس، فعلى سبيل المثال: أثناء فصل الشتاء في نصف الكرة الشمالي يكون ميل القطب من الشمس في أوائل يوليو ذا تأثير ضئيل على درجة الحرارة مقارنة بتأثير ميلها. لكن على كواكب لديها تفاوت مركزي مداري كبير.. فإنَّ اختلاف المسافة عن الشمس سيلعب دورًا أكبر بكثير. فعلى عطارد مثلا وبنسبة 20٪ من التفاوت المركزي، فإن درجة الحرارة ستكون أسخن بـ 200 درجة فهرنهايت عندما يكون الكوكب أكثر قربا من الشمس عنه عندما يكون أبعد عن الشمس.

وفي الحقيقة، لو كان التفاوت المركزي لمدار الأرض قريبا من الواحد الصحيح فإنَّ محيطاتنا ستغلي عندما نصل لا قرب نقطة من الشمس، وستتجمد تمامًا عندما نصل لا بعد نقطة. إنَّ التفاوتات المركزية المدارية الكبيرة لن تسمح بوجود حياة، ولهذا فنحن محظوظون بأن يكون لدينا كوكب يكون تفاوته المركزي أقرب من الصفر.[2]

الغلاف المغناطيسي للأرض: يحبس الغلاف المغناطيسي للأرض جزيئات الإشعاعات عالية الطاقة ويحمي الأرض من العواصف والرياح الشمسية المتدفقة باستمرار والتي يمكن أن تلحق الضرر بالأجهزة التكنولوجية وكذلك الأشخاص الذين يعيشون على الأرض، لأن هذه الإشعاعات الكونية المجريّة التي تنشأ خارج نظامنا الشمسي تسبب أضرارًا على الإنسان أكبر من التي تنتج عن الأشعة

1 نفس المصدر السابق ص223

2 S. Hawking and L. Mlodinow (2010). The Grand Design. New York: Bantam Books. Ch: 7

السينية الطبية المستعملة في الكشف عن العظام المكسورة وعلاج السرطانات.[1] فسبحان الذي قال { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ } [الأنبياء: 32]

ولا تقتصر فائدة هذا الدرع الطبيعي على حمايتنا من الأخطار التي تأتينا من الخارج بل هو أيضًا مصدر يحتوي الأكسجين الذي نحتاجه للعيش، إلى جانب كونه يخلق الضغط الذي بدونه لا يمكن أن توجد المياه السائلة على سطح كوكبنا، كما أنه يسخن كوكبنا ويحافظ على درجات الحرارة الصالحة للسكن على أرضنا الحية.[2]

موقع كوكب الأرض بالنسبة للشمس: الأرض "فقط " ذات موقع على مسافة متوسطة من الشمس = 93 مليون ميل، مما ينشئ درجات حرارة مناسبة لتشكل الجزيئات المعقدة.[3]

إن موقع الأرض يُعدُّ واحدا من أكثر السمات الأساسية الداعمة للحياة على سطحها؛ حيث بعدها عن الشمس يبدو مثاليا. في أي منظومة كوكبية هناك مناطق – المسافات من النجم المركزي – حيث يمكن أن تُحدث بيئة سطحية مماثلة للحالة الراهنة على الأرض. المنطقة الملائمة أو البعد عن النجم هو الأساس لتحديد "المنطقة القابلة للسكنى" (المشار إليها من قبل علماء البيولوجيا الفلكية باسم HZ)، المنطقة الصالحة للحياة في نظام الكواكب قد يوجد بها أرض مستنسخة. ومنذ بدء العمل بذلك.. وقد تم اعتماد مفهوم المنطقة القابلة للسكنى على نطاق واسع، وكانت موضوع العديد من المؤتمرات العلمية الكبرى، بما في ذلك مؤتمرا عقده (كارل ساجان) قرب نهاية مسيرته الرائعة.[4] وباستعراض المناطق القابلة لسكنى الحيوانات وكذلك الميكروبات خلال كوننا ومجرتنا وأيضًا شمسنا، يؤدي ذلك إلى نتيجة لا مفر منها: الأرض هي مكان نادر في الواقع.[5]

1 https://science.nasa.gov/biological-physical/news-media/van-allen-belts

2 https://climate.nasa.gov/news/2914/the-atmosphere-earths-security-blanket /

3 Cynthia Stokes Brown: Big History from the Big Bang to the Present ،The New Press ،London 2007 Page 12

4 Peter Ward & Donald Brownlee (2000). Rare Earth: Why Complex Life Is Uncommon in the Universe ،Copernicus Books. P. 16

5 نفس المصدر السابق ص33

بعض مظاهر العناية داخل كوكب الأرض:

وجود عنصر الماء: يوفر الماء النسيج السائل الذي تجري ضمنه كل الأنشطة الكيماوية والفيزيائية الحيوية، والتي يعتمد وجود الحياة عليها، فبدون الماء يستحيل وجود الحياة التي نراها على الأرض. ولو شبهنا الأنشطة الحيوية للخلايا بحركات الأحجار على رقعة الشطرنج.. فإن الماء يمثل الرقعة، وطالما أنه من المستحيل أن تلعب الشطرنج دون رقعة.. فمن غير الممكن أن توجد الحياة بلا ماء. والماء أيضًا يشكل معظم كتلة أغلب الكائنات، فغالبيتها تتركب من نسبة أكبر من 50٪ من الماء، أما الإنسان فيشكل الماء أكثر من 70٪ من وزنه.[1]

حقيقةً لا يوجد إطلاقا أي سائل أخر يمكن ترشيحه كمنافس للماء ولو بشكل بعيد في عمله كوسيط لحياة أساسها الكربون. ولو لم يوجد الماء لوجب أن يُخترع. وبدون السلسلة الطويلة من المصادفات الحيوية في مواصفات الماء الفيزيائية والكيميائية، فلا يمكن لوجود حياة معتمدة على الكربون بأي شكل يمكن مقارنته ولو من بعيد بتلك الحياة التي توجد على الأرض. ولن نكون (أشكال الحياة المعتمدة على الكربون الذكية) موجودين بالتأكيد لنتساءل عن خصائص السائل الحيوي هذا الذي يجعل منه كُلُّ شيء حي. ولو وجدت حياة مشابهة لحياتنا في أي مكان في هذا الكون على أرض أخرى، فسيكون هنالك ماء وبكل الاحتمالات ستوجد بحار وأنهار وغيوم وأمطار، وستوجد عواصف وشلالات وجبال جليدية، وسيتكسر الموج على شواطئ ذلك العالم البعيد. ومع هذه الخصائص الكثيرة المتأقلمة بشكل تشاركي لهذا السائل الأكثر تميزا من بين جميع السوائل.. نجد بشكل مباشر كتلة من الأدلة غير العادية من النوع الذي نتوقع وجوده لفرضية تقول بأن قوانين الطبيعة ملائمة بشكل فريد لنمط الحياة المعتمدة على الكربون، كما هي على الأرض.[2] قال الله عزّ وجل { **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** } [الانبياء: 30]

1 Denton J. Michael (1998). Nature's Destiny: How the Laws of Biology Reveal Purpose in the Universe. New York: The Free Press. pp. 22-23

2 نفس المصدر السابق ص46

وجود التربة: تقع التربة في أسفل السلسلة الغذائية، ومع ذلك فهي حجر الزاوية للحياة على الأرض، إنه أمر بالغ الأهمية للحياة الأرضية. فهي تعمل كمرشح للمياه، ومقدم للمغذيات، وموطن لمليارات الكائنات الحية التي تشكل نظامًا بيئيًا متنوعًا.

كما أنها تزود البشر بالمضادات الحيوية التي تحارب الأمراض، وتوفر العناصر الغذائية التي تغذي محاصيلنا، ويمكن أن تتجدد دورة الاكتفاء الذاتي لعقود. تساعد التربة الصحية على التخفيف من تغير المناخ من خلال العمل كبالوعة للكربون - مما يعني أنها تخزن كميات هائلة من ثاني أكسيد الكربون وغازات أخرى من نوع (GHGs) التي يمكن إطلاقها لولا ذلك. في الواقع، تعتبر التربة ثاني أكبر بالوعة للكربون بعد المحيط، حيث تلتقط كمية من ثاني أكسيد الكربون أكثر من الغابات وتحمل ثلاثة أضعاف الكربون الموجود في الغلاف الجوي للأرض.

التربة توفر خدمات بالغة الأهمية لكل من الأرض وسكانها، التربة توفر لنا الأكل على أطباقنا، تنقي مياهنا، تحمينا من الفيضانات وتحارب الجفاف وهي أيضا وسيلة لمعالجة التغير المناخي لا نها قادرة على امتصاص واحتواء كميات هائلة من الكربون.[1]

يقول اللطيف الخبير **{ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ(33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ(34) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) }** سورة يس.

دورة الماء في الطبيعة: تعرّف دورة الماء في الطبيعة أو الدورة الهيدرولوجية (بالإنجليزية: Hydrologic Cycle) بأنّها الدورة المسؤولة عن حركة المياه في نظام الغلاف الجوي للأرض، وتتمثل في العديد من العمليات؛ كالتبخّر، والنتح، والتكاثف والهطول، والجريان السطحي، وغيرها، حيث يتم من خلال هذه الدورة إعادة تدوير المياه للمحافظة على وجود المسطّحات المائية، واستمرارية تكاثف السحب، وهطول الأمطار على مرّ الأزمنة.

1 https://www.clientearth.org/latest/latest-updates/news/why-soil-matters /

تتمثل أهمية هذه الدورة في كونها:

- المصدر الرئيسي لبقاء واستمرار وجود المسطحات المائية الضخمة التي تميز كوكبنا الأزرق من بحار ومحيطات وأنهار وبُحيرات وبالتالي بقاء جنس الكائنات المائية على قيد الحياة.
- توفير المياه العذبة الصالحة للاستهلاك من طرف البشر والحيوانات والنباتات والتي بدونها تصبح الحياة البريّة معدومة على ظهر هذا الكوكب.
- تلطيف الجو والمُناخ ويمكنك محاولة تخيل كيف سيكون الطقس في كوكبٍ ذو مصادر ما ئية غير متجددة.
- الحفاظ على خصوبة التربة وبقائها غنيةً بالعناصر المعدنية بفضل جريان مياه الأمطار التي تنقل العناصر المعدنية بين مساماتها.

يقول الله عز وجل { **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ما ءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لا ولِي الْأَلْبَابِ** } [الزُّمر: 21].

ويقول في موضعٍ آخر من كتابه العزيز { **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ ما ءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** } [المؤمنون: 18].

ونختم هذا العنوان بقوله تباركت أسمائه وصفاته في مسألة تشكل الغيوم { **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** } [النور: 43].

وجود الرياح: تتمثل أهمية الرياح بالنسبة لكوكب الأرض عمومًا وللكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان خصوصًا في:

- المحافظة على درجة حرارة سطح الأرض؛ فكما هو معروف عندما يسخن الهواء القريب من سطح الأرض يخف وزنه ويرتفع للأعلى، فيحل محله هواءً بارداً يخفف من حرارتها، فلولا هذه الحركة لزادت درجة حرارة الأرض سنةً بعد سنةٍ لتصبح في الآخر محرقة لكل ما يقترب منها فتنعدم الحياة عليها.

- نقل مادة اللقاح بين النباتات حيث تنتج ذكور النباتات ما دة اللقاح المسؤولة عن تلقيح النبات الأنثى، ولكن لولا الرياح لبقيت ما دة اللقاح عند النبات الذكر ولما حصل تلقيح للنبات الأنثى وبذلك تموت النباتات ويهدم كل ما يعتمد عليها. قال الله تعالى { **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ** } [الحِجر: 22]، أي كما جاء في تفسير إبن كثير أنها تلقح السحاب فتدر ما ء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها.

- نزول المطر، فعندما ترتفع الرياح الدافئة إلى طبقات الجو العليا الباردة فإنها تتكاثف ويتساقط المطر. يقول اللطيف الخبير { **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } [الأعراف: 57]، وفي آية أخرى نجده تبارك وتعالى يقول { **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ** } [فاطر: 9].

- تحريك السفن في البحار والمحيطات، حيث لا بد من وجود الهواء لا تمام عملية الاحتراق التي تعتمد عليها وقود هذه السفن. قال الله عز وجل { **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** (32) **إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** (33) } الشورى.

- الرياح مصدر من مصادر الطاقة البديلة الدائمة والمتجددة والنظيفة، فعندما يتم تسليط الرياح على التوربينات فإنها تولد الطاقة الكهربائية، كما أنها تعتبر صحيةً لعدم انطلاق الغازات والمخلفات السامة منها.

- نقل الغبار والأتربة وتفتيت الصخور وترسيبها في أماكن اصطدامها بها، وبالتالي تشكيل الرسوبيات التي تعتبر مظهراً جمالياً نتيجة الأشكال الهندسية الجميلة التي تنتج، وفي نفس الوقت لهذه الرياح دور في عمليات حتّ الصخور التي تكون في طريقها فتشكل أيضاً المناظر الجميلة مثل الموائد الصخرية.

وللاستفادة أكثر في موضوع الرياح يُرجي مراجعة هذا المقال الخاص بناشيونال جيوغرافيك
https://education.nationalgeographic.org/resource/wind/

بعض مظاهر العناية داخل عالم الكائنات الحية:

أولا عالم الحيوان: لطالما اتّسمت العلاقة بين الإنسان والحيوان بالترابطية والتشابك التام بينهما، فالجنس البشري لا يمكنه العيش في هذا العالم منعزلًا بشكلٍ كامل عن بقية جيرانه في هذا الكوكب، ولا نبالغ إن قلنا أنه لم تكن لِتقوم أية حضارة إنسانية في أي زمن معين بدون وجود هذه العلاقة الترابطية بل لن يستمر الوجود البشري بحد ذاتها إن لم يكن للحيوانات وجود في هذا النظام البيئي المعقّد.

وتتمثل مظاهر هذا التشابك في:

كونها مصدرًا رئيسيا للغذاء والتنقل: كالاستفادة من لحومها وألبانها ودهونها سواء عن طريق استئناس الأصناف الأليفة منها (الأبقار، الإبل، الماشية، الدواجن...الخ) أو عن طريق ممارسة الصيد الذي يعتبر من أقدم الوسائل التي انتهجها الإنسان منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا، وبالعودة للحديث عن الأصناف الأليفة فلا ننسى كونها وسيلة النقل الرئيسية التي اعتمدها الإنسان لا لاف السنوات(ولا تزال لحد الساعة رغم التطور الذي وصلنا له) من أجل نقل السلع والبضائع والسفر لمسافات لا يقدر البشر تحملها سيرا على الأقدام، إلى جانب استعمالها في الحروب والغزوات كالخيول والفيلة والحمير وغيرها. يقول الله عزّ وجل { **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَا لِكُونَ** (71) **وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ** (72) **وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ** (73) } سورة يس.

ولا ننسى الطعام البحري الذي دائمًا ما يُعد ثروة مالية وغذائية للشعوب التي تحترف صيد الكائنات المائية المتمثلة في آلاف الأنواع من الأسماك والقشريات الطيبة الطعم والغنية بالعناصر الأساسية لحياتنا، يُذكرنا الله تبارك وتعالى بهذه النعمة قائلًا { **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا** } [النحل: 14].

كونها مصدرًا رئيسيا لا لبستنا وزينتنا: وهذا أيضًا شديد الوضوح كسابقه فألبستنا كلها إما أنها مصنوعة من الخيوط التي استخرجناها من صوف الأغنام (وهو المصدر الغالب) وإما أنها تعتمد على جلود الأبقار والإبل في صناعة بعض الجاكيتات، بل يتعدى الأمر إلى صيدنا للحيوانات المفترسة من أجل صناعة أنواع الفاخرة منها (الملابس) مثل صناعة معاطف باهضة الثمن التي يكون مصدرها عادة

جلود الدببة والذئاب إلى جانب بعض أنواع الحقائب النسائية ذات الجودة العالية التي يكون مصدرها غالبًا جلود التماسيح.

الشاهد من الامثلة السابقة أنه رغم التطور التكنولوجي العظيم الذي وصلنا له إلا أننا لم نستطع أبدا إيجاد مصدر آخر بعيد عن الثروة الحيوانية لنصنع منه ما يقينا من البرد ويستر عوراتنا، بل إن محاولة تخيل فكرة انقراض الماشية التي هي المصدر الرئيسي في صناعة ملابسنا، هذا وحده يسبب الرعب والقلق لكل عاقلٍ يُدرك قيمة هذه النعمة التي بين أيدينا والمُسخّرة لنا، يقول الله عزّ وجل { **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** } [النحل: 5]، وفي موضعٍ آخر يقول { **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ** } [النحل: 80].

وفي آية أخرى يُخبرنا سبحانه وتعالى عن استفادتنا من مخلوقات البحر في مجال الزينة فيقول { **هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } [النحل: 14]

كونها مصدرًا للتداوي وصناعة العقاقير الطبية: لعلّ أفضل مثال في هذا العنوان هو النحل وما ينتجه لنا من ذاك الشراب طيب الطعم المعروف بالعسل، فالعسل وحده لو قررنا جمع كل الأبحاث العلمية التي صُنِّفت في فوائده لَلزمنا الأمر عشرات المُجلّدات ومع ذلك لن نستطيع أن نُحيط بكامل أسراره، فمن فوائده الطبية على سبيل المثال لا الحصر: يسرع عملية التئام الجروح والحروق حيث يجدد خلايا البشرة ويخفف الألم سريعًا + مكافحة الالتهابات + أظهر العسل نشاطًا مضاداً للورم في سرطان المثانة + يساعد في انخفاض ضغط الدم الوريدي + يمكن كذلك أن يلعب دوراً مهمّاً في علاج آلام الصدر والإرهاق والدوار وربما يرجع ذلك إلى المحتوى العالي من الطاقة الغذائية + ويُمكن استخدامه للتغلب على مشاكل الكبد والقلب والأوعية الدموية والجهاز الهضمي[1]... وغيرها وغيرها من الفوائد العظيمة التي تُذهل كل ذي عقلٍ مُنصف! يقول الله عزّ وجل { **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ**

1 للاستفادة أكثر يُرجى مراجعة موقع https: / /altibbi.com/

الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) } النحل.

وضِـف على المثال السـابق اسـتغلالنا لحيوانات سـامة وقاتلة من أجل صـناعة العقاقير الطبية ومضـادات السـموم التي بفضـلها لا زلنا ننقذ حياة آلاف الضـحايا يوميا، وهذا يشـمل سـموم الثعابين والعقارب والضـفادع التي كانت في الماضـي بمجرد أن تلدغ أحد المسـاكين حتى نبدأ تجهيز جنازته بسبب ضعف الإمكانيات الطبية آنذاك.[1]

ثانيا عالم النبات: مثلما أشرنا في كلامنا السابق عن علاقة الإنسان بعالم الحيوان فإن الأمر لا يختلف كثيرا عندما نلقي نظرة خفيفة على علاقته بعالم النبات بل قد نجد هذه الأخيرة (علاقته بالنبات) أشـد ترابطا وتعقيدًا.

فعلاقة الإنسـان بالنباتات قد اسـتمرت على مر التاريخ بشـكل وثيق وحيوي. بدءًا من ظهوره على وجه الأرض، حيث اعتمدت البشـرية على النباتات للبقاء على قيد الحياة وتلبية احتياجاتها الأسـاسـية. وهنا سنقوم باستعراض مظاهر هذا الترابط الاعتمادي بين الإنسان والنبات والذي يتمثل في:

كون النباتات بمختلف أنواعها تمثل مصدرًا غذائيا رئيسيا للمجتمعات البشرية: كانت علاقة البشر بالنباتات من الناحية الغذائية حيوية ومتنوعة، ففي العصور القديمة اعتمد الإنسان على النباتات كمصدر رئيسـي للغذاء. قام بجمع الفواكه والخضـروات البرية والمحاصـيل المزروعة لتلبية احتياجاته الغذائية الأساسية، تطورت علاقة الإنسان مع النباتات عبر الزمن، حيث بدأ في زراعة المحاصيل وتطوير تقنيات الزراعة، ثم انتقل بعدها إلى تحسـين الأصـناف النباتية واسـتخدام تقنيات الري والتسـميد لزيادة إنتاجية المحاصيل مع تطور تقنيات حفظها وتخزينها لضمان توفر الغذاء طوال العام.

تتميز النباتات بقدرتها على صـنع الطعام لنا باعتمادها على ضـوء الشـمس في عملية التركيب الضـوئي، وتختلف نوعية هذا الطعام ومذاقه باختلاف نوع النبات نفسـه، ولك مثال بالنباتات المعروفة بإنتاج مختلف الفواكه الغنية بالفيتامينات والمتميزة بطعمها المحصور بين الحلو والحامض (التفاح، البرتقال،

1 للاستفادة أكثر يُرجى مراجعة هذا المقال الطبي

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC7287856/

التمر...)، وهناك نوع آخر لا يُنتج سوى المكسرات التي تُعد مصدرًا ممتاز للألياف، والدهون الصحية، والبروتينات النباتية، وهناك أيضا النباتات المسؤولة عن إنتاج أعداد لا حصر لها من الخضر الطازجة التي هي في حد ذاتها مصدر غذائي رئيسي للإنسان على مر التاريخ بل لا يمكن الانفكاك عنها مهما حاولنا.

يقول الله عزّ وجل { **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)** } عبس، ويقول في آية أخرى { **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** } [الأنعام: 141]

دورها الكبير في النظام البيئي للكوكب: يظهر ذلك في:

- النباتات تحافظ على الغلاف الجوي عن طريق إنتاجها للأكسجين (الضروري للتنفس الخلوي لجميع الكائنات الهوائية) وامتصاصها ثاني أكسيد الكربون أثناء عملية التركيب الضوئي، الأمر الذي يساعد على حماية الحياة على الأرض من أضرار الأشعة فوق البنفسجية والتقليل من تأثير الاحتباس الحراري.
- النباتات تعتبر مأوى للعديد من الكائنات الحية، قد توفر شجرة واحدة الغذاء والسكن للعديد من أنواع الحشرات والديدان والثدييات الصغيرة والطيور والزواحف وهذا يعني الحفاظ على هذه الكائنات من خطر الانقراض وبالضرورة حماية النظام البيئي من الاختلال.
- النباتات تعيد تدوير المادة في دورات بيوجيوكيميائية. على سبيل المثال، من خلال النتح، تنقل النباتات كميات هائلة من الماء من التربة إلى الغلاف الجوي. النباتات مثل البازلاء تستضيف البكتيريا التي تثبت النيتروجين. هذا يجعل النيتروجين متاحًا لجميع المصانع التي تمرره إلى المستهلكين.[1]

1 https://www.ck12.org/biology/importance-of-plants/lesson/Importance-of-Plants-BIO/

- النباتات تحافظ على التربة وتحميها من الانجراف بفضل جذور بعض أنواعها (خاصة الأشجار الضخمة) التي تعمل تماسكها، من دون نسيان أنها أحد العوامل الرئيسية في تخصيبها فعندما تسقط أوراق هذه النباتات أو هي تموت بحد ذاتها فإنها تتحلل موفرةً بذلك العناصر المغذية للتربة وبالتالي توفر بيئة ملائمة لنشأة جيلٍ جديد من النباتات وهكذا تستمر عجلة الحياة في الدوران.[1]

دورها الطبي الفعّال سواء في الطب العضوي المتمثل في الأدوية أو في الطب النفسي:

أولا من الناحية النفسية:

يعد التفاعل مع الطبيعة أمرًا ضروريًا للحفاظ على الشعور بالرفاهية. من خلال البستنة وقضاء الوقت حول النباتات، يمكن للأفراد جني مجموعة واسعة من الفوائد النفسية. فيما يلي بعض فوائد الصحة العقلية للتواجد حول النباتات الداخلية والبستنة: تحسين المزاج + تخفيف التوتر والقلق + تقوية الانتباه والتركيز وبالتالي زيادة الإبداع + التعزيز من احترام الذات[2]

ثانيا من الناحية الجسدية العضوية:

وهذا لا يختلف عليه اثنان، فالسواد الأعظم من أدويتنا مصدره نباتي وهذا واضح لمن تصفح صفحات التاريخ الطبي في مختلف الحضارات، بل وصل الأمر إلى أن أصبح التداوي بالأعشاب هو فرعٌ طبي في حد ذاته فيما يُعرف بـا" الطب البديل" الذي يتميز عن نظيره المُعتمد على التحليلات الكيميائية بكونه ذو أعراض يسيرة وفعّال بشكل آمن في العديد من الحالات المرضية الجادّة.

لندع خبير الأعشاب العالمي " جيمس إيه ديوك " صاحب الموسوعة الطبية الشهيرة " الصيدلية الخضراء " يستعرض علينا بعض أنواع النباتات القيّمة والفوائد العجيبة التي توفرها لمن يستهلكها:

الثوم: هذا العشب المدهش لا يقوم بخفض ضغط الدم المرتفع فقط ولكنه يقلل الكوليسترول أيضـًا. في واحدة من الدراسات العملية الجادة، تناول مجموعة من المرضى المصابين بارتفاع ضغط

1 https://www.woodlandtrust.org.uk/blog/2018/04/why-plants-are-important /

2 لمزيد من الشرح والتفاصيل يُرجى مراجعة هذا المصدر /https://hside.org/plants-improve-mental-physical-health

الدم فصـــًا واحداً من الثوم يوميـًا لمدة ١٢ أسـبوعـًا. وجد بعد ذلك انخفاض ملحوظ في ضـغط الدم الانبساطي والكوليسترول. [1]

زهرة البالون Balloonflower: يتمتع جذر هذا النبات باحترام كبير من الصينيين حيث يعتبر علاجـًا لاحتقان الزور والكحة لدرجة أن لدى الصينيين طابعـًا تذكاريـًا: عنه، وكثير من مصنعي الأدوية اليابانيين يستعملون خلاصة الجذر. وتؤكد الدراسات الدوائية على مفعوله المهدئ للكحة وطارد للبلغم (يعتبر زهرة البالون واحد من نباتات الزينة الجذابة، وقد أحضـرت واحدة من الصـين وزرعتها في حديقتي في ركن الأعشاب ويمكن استعماله كمشروب ساخن أو كصبغة. [2]

الفول Beans: الفول غني بالألياف ومنخفض في نسـبة الدهون وهذا مجرد سـبب لتخفيض نسـبة الكوليسترول كما أنه يحتوي على الليسيثين Lecithin المادة المغذية التي تساعد في انخفاض مستوى الكوليسترول واحدة من الدراسات بينت أن كوبـًا ونصف من العدس أو اللوبيا يوميـًا، حوالي طبق من شوربة الفول، يمكنه المساعدة في خفض نسبة وهي الكوليسترول حوالي 19٪ [3]

الكُعيب Milk thistle: اسـتخدم الكعيب لعلاج الكبد لحوالي 2000 عام على الأقل. وتظهر الأبحاث أن المواد المركبة من البذور يمكن أن تحمي الكبد ضد آثار الكحول والالتهاب، بل ويمكن أن يعيد تكوين خلايا الكبد التي دمرت. لذا، فإن اللجنة E (وهي لجنة الخبراء الألمان التي تقيم الأدوية العشبية لصالح الحكومة الألمانية، والتي تناظر إدارة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) وافقت على بذور الكعيب أو خلاصة البذور كعلاج لا ثار تليف الكبد والتهاب الكبد المزمن. تبين البحوث الأخرى أن ما دة السـليمارين Silymarin الموجودة في الكعيب تسـاعد على حماية الكبد من كثير من المواد السـامة الصـناعية مثل تتراكلورايد الكربون. وحتى لو لم تكن تعاني من إصـابة أو مرض في الكبد، فالكعيب يحسن من وظيفة الكبد بمساعدته على التخلص من السموم في الجسم. [4]

---

1 "الصيدلية الخضراء" لجيمس إيه ديوك ص33

2 المصدر السابق ص79

3 المصدر السابق ص440

4 المصدر السابق ص499

الأصـل الثاني: أن هذا التسـخير والموافقة يدُلّان بالضـرورة على وجود خالقٍ مُريدٍ لعباده الخير، خبيرٌ بما يُصلح شأنهم وينفعهم

هذه النتيجة شديدة الوضوح كمن يطلب منك أن تثبت له وجود الشمس في وضح النهار!

فمن الجليّ لنا أن الأصـل الثاني من دليل العناية يقوم على البداهة العقلية وما تستسيغه الفِطر السليمة. لأن أي إنسانٍ منصفٍ باحث عن الحق بعد أن يطلع على ما أوردناه من أمثلة التسخير والعناية المتواجدة في مختلف المجالات الفيزيائية والجيولوجية وغيرها والتي تُظهر له بأنه أمام عالمٍ قد تم إخضاعه خدمةً لمصلحته وعنايةً بما يصلح شؤونه وشؤون بني جنسه، فيقينًا سيُدرك لا محالة أنه يستحيل منطقيًا أن ننسب أصل هذا التسخير والعناية الموجّهين لنا إلى الطبيعة أو أي سبب ما دي آخر، لماذا؟!

- ❖ لأن المسؤول عن هذه العناية العظيمة بالإنسان وتهيئة مختلف المخلوقات لخدمة مصالحه ولضمان تواجده من باب أولى، حتمًا سيكون متصفًا **بالعلم المطلق**، وإلا فكيف سيعرف ما سيحتاجه هذا الكائن البشري من أسباب تمكنّه من العيش والتناغم مع محيطه إذا كان ذو علمٍ ناقص بل المصيبة أن لا يمتلك علمًا من الأساس مثل الطبيعة الصماء!
- ❖ إلى جانب العلم المُطلق فلا بد أن يتصف هذا السبب **بالم شئية المطلقة**، لأنه قرر أنه من بين جميع مخلوقاته فسيكون الإنسان هو الكائن المُحاط بالعناية وأن بقية العالم سيكون مُذلّلًا له، جاهزًا لاستقباله، مُجهزًا لاستمرار الحياة فيه وهذه الصفة حتمًا لا تتوفر في الطبيعة لا نها في الأخير عبارة عن ذرّات محكومة بقوانين دقيقة وصارمة لا تملك لنفسها حرية التمرّد عليها أو الانحراف عن مسارها!
- ❖ ولا يجب أن نغفل عن حقيقة أن يكون هذا السبب متّصفًا بصفة **الحكمة**، لأن تحقيق العلاقة الاعتمادية والتناغمية بين الإنسان وبقية المخلوقات المحيطة به يلزم منه أن كل كائنٍ مخلوق لغاية مُحددة ومُهيّأ وظيفيًا لا داء أدوار معينة تضمن استمرار التوازن والنظام في هذا الوجود المادي، فمن باب البداهة أن هذه الغائية والتعقيد الوظيفي لا يمكن أن يكون مصدرهما العشوائية والعبثية المادية.

❖ ونضـيف على ذلك أن من يُوفّر كل هذه العناية ومصـادر الرزق للإنسـان لا بُد أن يتّصـف بالرحمة واللّطف لأن هذه النعم والعطايا لا تصدر عن سببٍ عديم الرحمة ولامبالٍ بمخلوقاته، ومن البديهي أن الرحمة واللطف لا يتوفران في الطبيعة لا نهما ببسـاطة مفهومان غير ما ديان، وما ليس بمادي لا يصدر عن ما هو ما دي!

الخلاصـة مما سـبق أن دليل العناية يُثبت لنا يقينًا ومن دون شـك أن مصـدر هذه الرحمة والنِّعم المحيطة بالبشـر من كل جانب هو إلهٌ رحيمٌ لطيفٌ بعباده، عليمٌ بما ينفعهم ويضـرّهم، متجلّيةٌ حكمته في أداء كل مخلوقٍ لوظائفه المُكلّف بها وما يتبع ذلك من المنافع العظيمة التي يتنعّم بها بنو الإنسـان، ذو الم شيئة التي اختارت الإنسـان لينالـه هذا التشـريف بهذه العناية الكريمة التي تأتيه من كل حدبٍ وصوب..... نعم هذا الله العظيم الذي يقول عن نفسه { **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ** } [لقمان: 20].

الرد على الاعتراضات الموجهة لدليل العناية

كيف تدَّعون أن الذي خلق كونًا شاسعًا وأجرامًا سماوية بالغة الضخامة وجبالًا قد بلغت عنان السماء وغيرها من المخلوقات العملاقة، كيف تدّعون أنه جعلها مسخّرة لخدمة الإنسان الذي هو مقارنة بها عبارة عن حثالة لا وزن له أمام أحجامها؟

الجواب:

هذا الاعتراض وما شابهه قائمٌ على أصلٍ فاسد وهو أن الملحد يعتقد في زعمه أن معيار التكريم والتفضيل بين المخلوقات هو الحجم والضخامة، فالذين يتبنّون هذا المعيار يصعُب عليهم تصوّر أن يكون الإنسان بحجمه الضئيل مقارنةً بما يُحيطه من كائنات تفوقه قوةً وضخامة في مكانة السيد المُستخلف عليها والمُتصرّف فيها وِفق حدود ربه.

ولكن هذا خطأ وغير صحيح لا شرعًا ولا واقعًا، فالإنسان مركز هذا الكون تكليفيًّا وأخلاقيًا، كيف ذلك؟ لأننا لو قارنّا بين الإنسان وبقية المخلوقات المحيطة به فسنكتشف بسهولة أنه:

- ✓ هو الكائن الوحيد ذو إرادة وحرية الاختيار بين الخير والشر، يقول ربنا عزّ وجل {**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**} [البلد: 10]. يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ"
- ✓ أنه الكائن الوحيد الذي في داخله وخز الضمير الأخلاقي وشعور افعل الخير ولا تفعل الشر.
- ✓ أنه الكائن الوحيد العاقل مقارنة ببقية المخلوقات المتواجدة معه، وأعني بالعقل هنا المصدر المسؤول عن الوعي والبديهيات العقلية [التي تعصم الذهن من الوقوع في العبث والمستحيلات] والقدرة على التمييز وتحليل المواقف التي يتعرّض لها المرء، ولا يدور كلامي حول العقل بالمفهوم الذي يعتقد به دعاة المادية من كونه الدماغ الذي هو في الأخير مجرّد ذرّات متلاطمة فيما بينها وعبارة عن مضمار لسريان الرسائل العصبية الكهربية التي بها يُعطي الامر لبقية أعضاء الجسم.

فلمّا كانت هذه السّمات التي تفتقر لها هذه المخلوقات من كواكب ونجوم وجبال وسماوات متوفرةٌ في هذا الكائن البشري، أصبح من العدل أن يكون هو مركز هذا الوجود تكليفيًا، لأن هذه الخصائص التي تميّزه عن غيره تمكّنه من فهم واستيعاب الوحي الإلهي الذي به يكون الاختبار والابتلاء، يقول الله عزّ

وجل { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الأحزاب: 72].

وعلى إثر ذلك اقتضت حكمة الله أن يوفّر لهذا المخلوق المُكلّف ما يُعينه على أداء ما افترضه عليه من واجبات والفوز بهذا الامتحان الإلهي العظيم الذي هو فيه، ومن صور الإعانة تسخير هذه المخلوقات له ليستفيد منها فيما يُصلح بدنه ومعيشته ويُخفف بعض شقاء هذه الدنيا عليه.

الدليل الأخلاقي ومعضلة الإلحاد

ما المقصود بالدليل الأخلاقي أو ما هو تعريفه؟

الجواب:

هو برهانٌ عقليّ ونفسيّ بسيط جدا لا يحتاج فيه الباحث عن الحق إلى أن يكون مُحيطًا بشتّى العلوم التجريبية والنظرية والفلسفية الشائكة، فهو يُلامس النفس البشرية في أعمق أسرارها ويستوي تأثيره على العاميّ البسيط والعالِم المتمكّن.

وهو قائمٌ ببساطة شديدة على الاستدلال بوجود الأخلاق الموضوعية ووخز الضمير الأخلاقي على وجود خالقٍ عظيم مُتّصفٍ بكل صفات الكمال ومتنزّهٍ عن كل نقيصة بحيث تستمد منه هذه المكوِّنات الأخلاقية قيمتها ومعناها.

ماهي مُقدمات هذا الدليل وكيف يتمُّ طرحه في النقاش؟

الجواب:

يتكوّن هذا الدليل من مقدمتين ونتيجة وهي كالتالي:

المقدمة الأولى: وجود القيم الأخلاقية الموضوعية ووخز الضمير الأخلاقي هو حقيقة يشترك في التصديق بها الجانب المؤمن والملحد على حدٍّ سواء.

المقدمة الثانية: يستحيل تفسير وجود ومعنى هذه القيم الأخلاقية داخل الإطار الماديّ

النتيجة: إذًا لا بُد من وجود مصدرٍ آخر مُتعالٍ عن المادة، منه تستمد هذه الأخلاق وجودها وقيمتها ومعناها، وهذا المصدر هو الخالق المتّصف بالكمال والمُتقدِّس عن كل نقيصة، وهو الله جلّ في عُلاه.

ما معنى مصطلح "موضوعية" المُستعمل في جملة "القيم الأخلاقية الموضوعية"؟

الجواب:

يشرح لنا الداعية الشهير والباحث في الفلسفة حمزة تزورتزوس هذا المصطلح قائلًا:" في سياق الأخلاقيات كلمة «موضوعي» تعني أن الأخلاقية ليست معتمدة أو مبنية على عقل شخص ما أو على مشاعر شخصية. وبهذا المعنى، فهي خارج قدرات الشخص المحدودة. الحقائق الرياضية مثل (1+1=2) أو الحقائق العلمية (مثل دوران الأرض حول الشمس) هي حقيقية بغض النظر عن طبيعة

شعورك حولها. وهكذا، فإذا كانت هذه الأخلاقيات خارج أنفسنا، فإنه يجب أن يكون لها تأسيس، أو بعبارة أخرى، تحتاج أساساً. إذا كانت الأخلاق الموضوعية لا تعتمد على قدراتنا المحدودة، فنحتاج الإجابة عن الأسئلة التالية: (من أين أتت هذه الأخلاق الموضوعية؟) و(ما طبيعتها؟). حتى نجيب على هذه الأسئلة، نحتاج أساسا منطقيا، وهذا سيفسر طبيعتها الموضوعية، ويقدم تعليلاً منطقياً يوضح من أين أتت، هذه الأسئلة تدور حول ما يسمى في الفلسفة بـ (علم وجود الأخلاق)"[1].

كيف نستدلّ على مقدمات هذا الدليل؟

الجواب:

الاستدلال على المقدمة الأولى: هذه المقدمة مصداقها البداهة والواقع الملموس ولنأخذ صفة العدل كمثال، فالتاريخ البشري حافلٌ بشواهد وآثار تثبت مدى مطلقية العدل كقيمة أخلاقية وكونه الهدف الأسمى لكل المجتمعات والحضارات، إذْ لم تغب شمس المحاكم والقوانين التشريعية التي تهدف إلى تحقيق العدل عن أي حقبة زمنية مهما اختلفت الأعراق والديانات والألسنة، الكل مُجمعٌ على شيء واحد ألا وهو أن العدل بذاته هو صفة حسنة وتحقيقه على أرض الواقع هو ضرورة مُلحّة لا يُمكن الحياد عنها.

فأنت لو أحضرت أشد الناس فسادًا ولِنقلْ أنه ثبتت عليه تهمة سرقة مبالغ كبيرة من خزينة الدولة وحكمت عليه بعقوبة مُخصصةٌ عادة للقتلة والسفاحين، هنا سيُحسُّ بألمٍ شديد في نفسه، ألمٌ متمثلٌ في قهرٍ وشعور بالمرارة، هل تعرف ما ذاك الشعور حضرة القارئ؟! نعم ذاك هو الإحساس بالظلم. ولعلّك أدركت بسرعة البديهة أنّ هذا السارق ما كان ليعرف طَعم الظلم لولا وجود العدل كقيمة موضوعية لا تتأثر بأهواء ورغبات البشر ومغروسةً في أعماق وِجدانه بحيث لا يمكنه إنكارها حتى لو عاش مُعظم حياته فاسدًا! فوجود قيمٍ أخلاقية موضوعية مثل العدل هو حقيقة لا مفر منها، وكون العدل شيء جيد فهذا أمرٌ ثابت سواء عند الصالح أو الطالح، والظلم الذي هو نقيضه شيء سيء سواء عند الصالح والطالح، وقِسْ على ذلك ما تشاء من بقية القيم الأخلاقية الموضوعية مثل الأمانة ونقيضتها الخيانة أو القناعة ونقيضتها الطمع.

---

1 كتاب الحقيقة الإلهية لحمزة تزورتزوس، ترجمة نايف الملا ص246

ويبقى الأمر على حاله عندما نتكلم عن وخز الضمير الأخلاقي الذي يُنبّهك بأن الأنانية شيءٌ سيء فلا ينبغي لك التحلّي بها والإيثار شيء جميلُ وراقٍ ويُحبّذ القيام به حتى لو كان ضد المصلحة الشخصية، هذا الصوت الداخلي مهما حاول الإنسان طمسه وحتى لو دائما ما يسير عكسه فإنّ ذلك لا ينفي وجوده بأي حالٍ من الأحوال، فأعتى الطغاة الذين يمارسون جرائمهم بإرادتهم يوقنون داخلهم بأن هذه الأفعال فاسدة ولا يجوز أخلاقيا ارتكابها، حتى لو اعتادوا فعلها لسنوات طويلة من حياتهم فإنّ ذلك الصوت الداخلي سيبقى حاضرًا في كل لحظة من عمرهم مُذكّرًا إياهم بقاعدة افعل الخير ولا تفعل الشر!

وإليك هذا الاقتباس المهم للدكتور جاستون باريت المتخصص في علم الإدراك الديني الذي يقول فيه: "يبدو أن إحدى هذه البديهيات الأخلاقية الأساسية هي الإيمان أن القواعد الأخلاقية مطلقة وغير قابلة للتغيير، في حين أن القواعد الأخرى اعتباطية وبالإمكان تغييرها، إذا فعدم وضع مرفقيك على طاولة العشاء هي قاعدة يمكن للأم أو الرئيس أو الله نقضها، بالتالي: (فانطلق الآن، ولا بأس أن تضع مرفقيك على الطاولة). ولكن لن يكون قتل شقيقتك فعلا مقبولا على الإطلاق، ولن يستطيع أحد أن يجعله كذلك. تسمى هذه الرؤية الأخلاقية – التي تكون مبادئها غير قابلة للتغيير، وتكون بعض الأفعال في جوهرها صحيحة أو خاطئة – في بعض الأحيان بمذهب الواقعية الأخلاقيةmoral realism ، توجد قواعد أخلاقية حقيقية لا يمكن تغييرها بطريقة اعتباطية. ويقول علماء النفس وعلماء الأنثروبولوجيا التطورية إن الناس طبيعيًا يتبعون مذهب الواقعية الأخلاقية"[1].

الاستدلال على المقدمة الثانية: دليل هذه المقدمة هو البديهة العقلية والواقع العِلمي اللذان ينُصّان على أن المادة مُحايدة أخلاقيا، هذه المادة المتكونة من إلكترونات وبروتونات ونيوترونات لا يمكنها أن تُنتج لك في المعامل شيئًا اسمه القيم الأخلاقية أليس كذلك؟ هل سبق لنا وأن رصدنا إلكترونًا خاصًا بالعدل؟! أو جسيمًا اسمه بروتون الصدق؟ أو تعمقنا داخل الخلايا الحية لنكتشف صُدفةً جينات خاصة بالخير والشر؟! هل هناك من استطاع وضع مجموعة معادلات رياضية يفسر لنا بها وجود وخز الضمير الأخلاقي وسلطانه على النفوس البشرية؟!

1 كتاب "فطرية الإيمان- كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله-" للدكتور جاستون باريت، ترجمة مركز دلائل ص155

الإجابة عقلًا وعلمًا هي قطعًا لا ، فالمادة بأدقِّ مكونتها لن تخرج عن دائرة القوانين العلمية الصارمة التي تُسيّرها وتضمن استمرارها لا أكثر ولا أقل.

وها هو ذا عرّاب الإلحاد ريتشارد دوكينز يُلخص لنا ما سبق ويصف لنا هذا العالم المادي المُحايد في بضعة أسطرٍ قائلًا:" الطبيعة ليست بطيبة أو قاسية، إنها ليست من معارضي المعاناة ولا من مؤيديها، الطبيعة ليســت مهتمة بالمعاناة بطريقة أو بأخرى، إلا في حالة أنها تؤثر على نجاة الحمض النووي. "[1] ويُؤكد كلامه في موضعٍ آخر ويقول:" الشيفرة الوراثية لا تكترث ولا تدري، إنها كذلك فقط ونحن نرقص وفق أنغامها" [2]

النتيجة: بما أنه هناك وجود حقيقي لقيمٍ أخلاقية موضوعية لا تتأثر باختلافات البشر وأهوائهم مثل العدل والأمانة والرحمة، وهناك وخز الضــمير الأخلاقي القائم على افعل الخير ولا تفعل الشــر. وبما أنّه ثبت لنا بالبداهة والواقع العِلمي أن المادة بمختلف مكوناتها لا يمكنها إطلاقًا أن تُنتج لنا أخلاقًا فضلًا عن أن تفسرها لنا وجودها ومن أين تستمد قيمتها.

فإن الضــرورة العقلية تصــل بنا إلى نتيجة واحدة مفادها أنه لا بُد من وجود مصــدرٍ آخر غير ما دي وطبعًا أزلي (حتى لا نقع في مغالطة التســلســل في الفاعلين) بحيث تســتمد منه هذه الأخلاق قيمتها وموضوعيتها وبه نُفسّر وجودها ويكون هو متصفًا بها من باب أولى، لأن من لوازم أزليّته هو اتصافه بكل صفات الكمال والبُعد عن كل نقيصة.

فإن كان الخير موجودًا فهو بالضرورة الخير المطلق

وإن كانت الرحمة موجودة فهو بالضرورة الرحمة المطلقة

وإن كان العدل موجودًا فهو بالضرورة العدل المطلق

واذكر ما شئت من الصفات والقيم الجميلة فكلها ستقودنا إلى جوابٍ واحد لا ثاني له وهو أن مصدر هذه القيم الأخلاقية الموضوعية هو خالق الكون والبشر الذي علّمهم كل ما يُصلح شأنهم وينفعهم في معاملاتهم وعلاقاتهم ببعض، إنه الله البارئ المُصّور له الأسماء الحسنى والصفات العُلى.

---

1 River Out of Eden_ A Darwinian View of Life p131

2 نفس المصدر السابق ص133

معضلات الإلحاد الماديّ مع المنظومة الأخلاقية

1 .... معضلة الإلحاد مع مفهوم الإنسان:

نعلم جيدا أن الإلحاد في معناه الاصـطلاحي هو إنكار وجود الخالق والأديان بكل ما تتضـمّنه من إيمانٍ بالأنبياء والمعجزات والغيب ويوم القيامة، أي بصـيغة أخرى هو إنكار كل ما لا يخضـع للرصـد والقياس والتجربة وهي الأدوات التي يقوم عليها المنهج العلمي التجريبي.

فإذا استقرّ في ذهنك هذا التعريف الاصطلاحي أدركت مباشرة أن كلمات مثل الروح والإرادة الحرة والقيم الأخلاقية الموضـوعية والضـمير الأخلاقي والحِسّ الجمالي التي هي مكوّنات الذات الإنسـانية عند الطرف المؤمن هي عبارة عن وهمٍ وخرافة داخل الإطار المادي الإلحادي! وهذا طبيعي، لأن هذه المكوّنات لا يمكن إخضـاعها للمنهجية العلمية التجريبية من رصـدٍ وقياسٍ وتحليلٍ في أنابيب الاختبار فنقول حينها أنه لا وجود لها داخل العالم الماديّ الصِّرف.

نسـتنتج مما سـبق أن الإنسـان إلحاديا لا يخرج عن كونه مُجسّـمًا ثلاثي الأبعاد من لحمٍ وعظمٍ يتم تسييره بواسطة عضوٍ آخر معقد يُدعى الدماغ، هذا المجسّم بدماغه وبكل أجزائه هو الآخر مجرّد حساء ضخم من الذرّات المتراصة فيما بينها والتي تخضع لقوانين ميكانيكا الكم وثوابتها الدقيقة.

الأمر صـادم جدًا عندما يُصـبح جليًّا لنا أنه لا فرق إلحاديا بين الإنسـان والحيوان والجمادات، لا شيء يميزه عنهم! لا شيء سوى الحتمية والسير وِفق ما تقتضيه قوانين المادة الصارمة! كلٌّ من الإنسان والجمادات والحيوانات مكونين من نفس الذرّات والمُسـيّرة هي الأخرى من نفس القوانين والثوابت الطبيعية!

يقول الملحد اللاأدري الشـهير كارل سـاغان: " الإنسـان هو نتاج نفس القوانين والثوابت التي كانت لا زمة لصـناعة حجر". ويضـيف جريجوري ليسـينج جاريت قائلًا:"ما الذي يميز البشـر؟ إنهم مجرد منتجات ثانوية عرضـية للطبيعة تطورت مؤخرًا من ذرات متناهية في الصـغر في عالم ما دي وعديم العقل ومحكوم عليهم بالهلاك فرديًا وجماعيا في وقت قصير نسبيا"[1]

1 ATHEISM REFUTED by GREGORY LESSING GARRETT ،P57

2.... معضلة الأخلاق في عالم ما دي صِرف:

فالإنسان داخل العالم المادي الإلحادي لن يكون في استطاعته تمييز بين ما هو صواب وخطأ وبين ما هو فعل صالح وآخر فاسد، لأنه كائن مُجبر على الخضوع لسلطة القوانين الطبيعة، لا شيء حوله سوى المادة! لا يُكوّن جسده سوى المادة ولا شيء غيرها، كل ذرّة فيه لا تتمرد على الثوابت والقوانين الفيزيائية التي تُسيّرها، وبالتالي من أين له أن يدرك معنى الخير والشر؟ أو ما هو حق وباطل؟ مصطلحات مثل الرحمة والتضحية والإيثار والظلم والشر لا وجود لها في أعماق الذرَة بين الكواركات والبروتونات، لا يمكن رصدها، لا يمكن قياسها، بل الكلام عنها داخل الإطار المادي هو ضربٌ من العبث والسفه!

وقد استوعب آرثر ألين ليف أستاذ القانون بجامعة يال الأمريكية هذه المعضلة ولم يكن له خيار سوى الاتساق مع نظرته المادية قائلا:" لا توجد طريقة لا ثبات أن حرق الأطفال بقنابل النابالم هو شيء سيء "[1].

ليُؤكد كلامه بعده بسنوات رأس الإلحاد الجديد ريتشارد دوكينز وبصريح العبارة:" ما الذي يثبت لنا أن هتلر كان على خطأ؟! أقصد أنه حقا سؤالٌ صعب "[2].

نعم إنه سؤالٌ صعب بلا شك فداخل العالم المادي الحتمي لا يمكن تخطئة هتلر! ويصف لنا جريمة الاغتصاب في موقفٍ آخر من وجهة نظر إلحادية قائلاً:" اعتقادك بأن الاغتصاب خطأ أمرٌ اعتباطي تماما "[3]، صحيح أن كلامه صادم جدًا للنفوس السويّة لكن يسهُل فهمه لو نظرت إلى الاغتصاب بعينٍ ما دية صِرفة، فمن أين للملحد أن الاغتصاب شر ولاأخلاقي؟ ما هو مستنده المادي الذي يعطي للاغتصاب صبغته الخاطئة الشريرة؟إن لم يكن هذا جنونًا وعبثًا محضًا، فما هو الجنون إذًا؟!

3.... معضلة الإلحاد في كونه مبرر مغري للجريمة:

إن كان هناك شيء في هذه الحياة يستحق تسميته بالأفيون فسيكون الإلحاد وعن جدارة!

---

1 Economic Analysis of Law: Some Realism about Nominalism (1974) ،p.454

2 https://byfaithonline.com/richard-dawkins-the-atheist-evangelist/

3 From an interview with Justin Brierley of unbelievable

الإلحاد هو أكبر مخدّرٍ للعقول والقيم الأخلاقية، الإلحاد هو المقبرة الجماعية التي دفن فيها معتنقيه كل فضيلة وكل خيرٍ يمكن أن تنتجه أيدي البشر.

صحيح أن الإلحاد لا يعرف شرًّا ولا خيرًا لكنه في المقابل يمثّل أكبر عزاءٍ لا خطر المجرمين والسفاحين على مرّ التاريخ! وكيف لا يكون وهو الذي يُبشّرهم بأن لا إله خلق الكون وبالتالي لا وجود للبعث والحساب ولا وجود لجنّةٍ ونار.

فإذا كان الإلحاد صحيحا وحتميا فما الذي يمنع أي إنسان من ارتكاب أي جريمة مهما كان أثرها على مجتمعه كبيرا المهم أنه يُشبع رغباته ويضمن مصالحه الشخصية؟! ما الذي يمنع الملحد من أن يغتصب ويقتل ويسرق في سبيل شهواته ومنفعته؟! خاصة وأنه يؤمن بأنه لا حياة إضافية للحياة التي يعيشها الآن وبالتالي أمامه فرصة واحدة ومحدودة للقيام بكل ما تشتهيه نفسه ويخدم مصلحته.

لقد أدرك الكاتب الروسي الشهير فيودور دوستويفسكي الكارثة التي ستحل على البشرية لو تمكن هذا السرطان الفكري من أن ينتشر بين عقول أفرادها وكتب قائلا:" افترض جدلاً أنه لا يوجد إله ولا روح أزلية الآن أخبرني لماذا ينبغي أن أكون شخصاً صالحاً وأن أعمل أعمالاً صالحة لو أني سأموت بالنهاية على الأرض؟ ولو أنه كذلك لماذا لا ينبغي علي ما دام اني سأعتمد علي ذكائي ورشاقتي لا جتنب المحاكمة وأطيح برقبة انسان واغتصب وأسرق؟"[1]

4.... معضلة الإلحاد مع مفهوم حرية الإرادة:

ويزداد الأمر سوء عندما نُسلّط الضوء على لا زمٍ آخر من لوازم الإلحاد الكارثية ألا وهي مسألة الإرادة الحرة، فداخل العالم المادي الإلحادي الجبري لا يوجد شيء اسمه إرادة حرة! لأن كل شيء ما دي في هذا الوجود من الذرّة إلى المجرّة يسير وِفق قوانين طبيعية دقيقة وصارمة لا ينحرف عنها. فأنت مثلًا لن ترصد في حياتك إلكترونًا قرر فجأة أن يتمرّد على معادلات الطاقة الكهرومغناطيسية وأن يعيش وِفق قانونٍ جديد باختياره هو!

1 selected letters of fyodor dostoyevsky p447

وبما أنّ الإنســان إلحاديا لا فرق بينه وبين أجزاء العالم المادي الذي يعيش فيه فكلهم مكوّنون من نفس الذرات ويخضـعون لنفس القوانين الطبيعة، فطبيعي أن يأتي كاتب ملحد مثل ســام هاريس ويُعلنها بمنتهى الصراحة قائلًا:" الإرادة الحرة مجرد وهم "[1]

وهنا يطرح سـؤالٌ مهم نفسـه: ما هي الضـريبة التي سـيدفعها البشـر إن آمنوا بلوازم الإلحاد ونفوا الإرادة الحرة؟ الإجابة سنكتشفها معًا بعد أن نفهم هذا السيناريو الافتراضي: " لنتخيّل مشهدًا لمحاكمة بطلها أحد مُجرمي الحرب الذين تسـببوا في مقتل ملايين الناس من جنود ومدنيين أبرياء، وبعد فضـحه بالأدلة والوثائق التي تثبت تورّطه في هذه المجزرة، يقوم من مكانه ويقف أمام القاضـي ليُدافع عن نفسـه قائلًا: لا يحقُّ لكم محاسـبتي على أفعالي ومعاقبتي عليها فأنا من البداية لم أختر أن أرتكب هذه المجازر، أنا كائنٌ نشـأ من هذه الطبيعة وكل ذرة من جسـدي تحكمها قوانين ثابتة وبالتالي فأنا كائنٌ مجبور ومقهور تحت سلطة الطبيعة ونواميسها، أسير حيثما تسير بي، لا أملك حرية الاختيار، فعلى أي أساسٍ تلوموني على أفعالي وتريدون محاسبتي عليها؟!"

نعم، فإذا كان الإلحاد صحيحًا وبالتالي الإرادة الحرة مُجرّد وهم، فعلى أي أساسٍ حينها سيكون لنا الحق في محاسبة القتلة والمغتصبين ومعاقبتهم على جرائمهم وهم أصلًا مجبرين على أفعالهم وليست لهم الحرية في الاختيار بين طريق الخير والشـر؟! ومن سـيُعطينا الحق في تخطئة آيزنهاور الذي أعطى الأمر برمي القنبلتين النوويتين على هيروشـيما وناكزاكي بما أنه هو الآخر عاش حياته مُسـيّرًا من قوانين الفيزياء والكيمياء بحكم أنه ابن الطبيعة ولا يمكنه التمرّد عليها؟!

5.... معضلة الإلحاد مع نسبية الأخلاق:

في عالم من غير وجود خالقٍ مشرّعٍ يبقى السؤال يحوم في ذهن المرء وهو: ما هو المصدر المتبقي لنا والذي ستسمد منه قيمنا الاخلاقية وأحكامنا الشرعية معناها وموضوعيتها؟!

الإجابة الوحيدة المتوفرة بمنتهى البساطة هي "العقل البشري"! لكن هل يمكن أن تكون نتيجة مثل هذه سـليمة منطقيا من العيوب والمصـائب العقلية ويمكنها المرور مرّ الكرام دون أن ينتج عنها كوارث وخيمة؟؟

1 Free Will. P5

الإجابة بصراحة هي قطعا لا! لأنه حينها نكون قد فتحنا على أنفسنا أبواب جحيم النسبية الأخلاقية، وسنشرح الآن بعون الله ما سبب توصيفنا للنسبية الاخلاقية بالجحيم:

فإن كان مصدر التشريع الذي سنعتمد عليه هو {العقل البشري} وما ينطوي تحته من " مصالح ورغبات وشهوات وأذواق"، وبما أنه من البديهي أن العقول البشرية متفاوتة وغير متفقة فيما بينها بل وتجدها كذلك تتأثر بعامل الزمن والمكان، فإن النتيجة الحتمية ستكون أن ما سأراه أنا صحيحًا وأخلاقيًا سيراه غيري خاطئًا وغير اخلاقي والعكس صحيح، ولن نستطيع الاعتراض على بعضنا البعض أو تخطئة بعضنا البعض لأنه كلانا اعتمد على {عقله البشري} كمصدر للحكم والتشريع وبالتالي= كلانا على حق!!

فعند الاعتقاد بعدم وجود إله هو نسف لأسس الأخلاق وتصبح حينها الأخلاق ذوقية والقيم نسبية ومتغيرة فاذا كان مرجعك العقل لتحكم فيه على الفعل الصائب والخاطئ فما قام به هتلر كان ايضاً إرادة عقول كاملة ومصلحة للشعب النازي من جهة أخرى، واذا كنت ترى الاغتصاب شيء خاطئ فالمغتصبين من جيش هتلر كان الاغتصاب عائداً عليهم بالفائدة والمتعة فهي مصلحة للجيش النازي، ولا يمكن لعقولنا الحكم على عقولهم كون العقل هو مصدر الأخلاق وليس الدين أو الإله كما يعتقد المُلحدون، فعقول أفراد الجيش النازي تقبلت هذا الفعل وفعلت به إذن هو استدلال عائد إلى ذات مصدر التشريع (وهو العقل) فيصبح الفعل أخلاقي وهذه عين الأزمة!

ولو تصفّحنا التاريخ لوجدنا على سبيل المثال أن زواج المحارم كان أمرًا مباحًا زمن الحضارة الفارسية بل مقُدسًا حسب بعض المرويات الإيرانية القديمة! وقد ورد في كتاب الزرادشتيين المقدس (دينگرد- Denka) (المصدر نفسه، ص٦٩، الهامش (٢٠١). الذي كتب في القرنين الأول والثاني بعد الإسلام) « أن الزواج بين الأخ وأخته منور بمجد إلهي، وله فضيلة طرد الشيطان» (الخشاب، 9591م، ١.)، وقال الموبذان موبذ (نرسي مهر) وهو أحد شراح الأفستا: «إن زواج المحارم يمحو الكبائر»[1].

1 "زواج المحارم في الديانة المجوسية من خلال الأفستا والروايات التاريخية دراسة تحليلية نقدية" من كتابة فرست مرعي ص8

فهل يستطيع الملحد بعيدًا عن الإله وتشريعاته وبالإعتماد على عقله تخطئة الفُرس والحكم على فعلهم بكونه شرا أو خيرا؟!

وضِفْ عليه مثالًا آخر وهو المتعلّق بثقافة القرابين البشرية التي كانت سائدة بين شعوب العصر القديم وكانت بالنسبة لهم طقوس مقدّسة في قمة الروحانية ولا خطأ فيها مثل حضارة المايا والحضارة المصرية القديمة.....إذا كانت عقول البشر أنذاك (والتي هي مصدر تشريعهم) قد رضيت بهذه الأفاعيل والممارسات وحكمت عليها بالروحانية والتقديس، هل يقدر الملحد بعقله هو الآخر أن يعترض عليهم ويخطّئهم بعيدا عن وجود الله وتشريعاته الدينية؟!

ولماذا نبتعد كثيرًا؟ فالشذوذ الجنسي الذي كان هناك قبل بضعة عقود شبه إجماع إنساني على كونه مخالف لا بسط أبجديات الفطرة السوية، أصبح الآن مدعوما من أطراف وهيئات ذات نفوذ قوي وأصبح له عَلَمٌ خاص وأتباع لا يمكن تجاهل أعدادهم إلى جانب الترويج الصريح له عن طريق مختلف وسائل الأعلام البصرية والكتابية.

فانظروا رعاكم الله إلى مدى تخبّط القوم وتوهانهم في قفار النسبية واللّامعنى بمجرّد أن كفروا بربهم وردّوا عليه وحيه!

وقد صدق فيلسوف الأخلاق والأُستاذ الفخري في جامعة ريدينغ جون كوتنجهام لمّا قال: "في عالم خالٍ من الله فإن المبادئ الأخلاقية التي تحكم سلوكنا متجذرة في العادة والعادات والشعور والموضة، من سيقول أي القيم صحيحة وأيها خاطئ؟ من يستطيع الحكم على أن قيم أدولف هتلر أدنى من قيم القديس؟ يفقد مفهوم الأخلاق كل معنى في الكون بدون وجود الله." [1]

بل نجد كذلك وفي نفس الصفحة ينقل عن الملحد الشهير جون بول سارتر ما يلي:" إن حقيقة الوجود المجردة لا قيمة لها، والقيم الأخلاقية هي إما مجرد تعبيرات عن الذوق الشخصي أو منتجات ثانوية للتطور والتكيف البيولوجي الاجتماعي"

ونختم بما نقله المؤرخ ألكسندر رايري عن مجموعة من علماء الأخلاق المعاصرين/ الأوائل ما نصّه:" وفقًا لعلماء الأخلاق المعاصرين والأوائل فنحن نعلم أن (زنا المحارم) خطأ بأمر من الله وليس

1 WESTERN PHILOSOPHY AN ANTHOLOGY P.813

بسـبب الطبيعة أو العقل وبهذا المنطق فإن الملحدين سـينجذبون بطبيعة الحال الى زنا المحارم ومن الطبيعي أن ينجذب زنا المحارم إلى الالحاد"[1]

6.... معضلة داروين مع الدماغ البشري:

تتلخص هذه المعضلة في سالة إلى صديقه ويليام غراهام كتب تشارلز داروين سنة 1881 : "ينتابني شـك فظيع حول ما إذا كانت قناعات عقل الإنسـان والذي بدوره تطور من عقول كائنات أدنى تتمتع بأية قيمة أو تستحق أدنى ثقة، هل يمكن لشخص أن يثق في قناعات عقل قرد؟ إن وجدت قناعات في مثل هذا العقل؟"[2]

وحُقّ لداروين أن يقلق وينزعج من هذه الفكرة لأنه استشعر إلزاماتها التي ستهدم أي أساس للمعرفة والمعنى، فحسـب نظرية التطور وفي مقدمتها آلية الانتخاب الطبيعي فإن أدمغتنا ما وصـلت إلى ما هي عليه الآن إلا بعد المرور بطريق طويل جدا من عمليات الحذف والتعديل انطلاقا من الشـكل البدائي لها (أدمغة القردة الإفريقية) وانتهاء بالنموذج الحالي لدماغ الهوموسـيبيان، وهذا يقودنا إلى النقطة المحورية من المعضـلة التي أزعجت داروين، لأنه إذا كانت نظرية التطور بأركانها حقيقة علمية فإن قراراتنا الأخلاقية والعقلية هي الأخرى قد خضـعت لآلية الانتخاب الطبيعي وانتقلت من حالٍ إلى حال وبمعنى أدق ما يبدو لنا اليوم أخلاقيا قد كان في الماضـي لا أخلاقيا والعكس صـحيح، وما يبدو لنا اليوم منطقيا فإنه في الماضـي كان غير ذلك والعكس كذلك صـحيح، لأن هذه المفاهيم الأخلاقية والعقلية مستمدة ومستخلصة بعد عمليات عشوائية لا تُحصى من محاولات تطوير دماغ القرد الإفريقي الجنوبي من دون إغفال نقطة مهمة وهي أن آلية الانتخاب الطبيعي مسـتمرة لحد اللحظة وسـتبقى كذلك في المستقبل البعيد وِفقًا لا بجديات النظرية.

وهنا **السؤال المُعضل**، ما الذي سيضمن لنا أن الاخلاقيات التي تتبجّح بها هذه المنظّمات الحقوقية العالمانية لن تتغير هي الأخرى وتُعكس معانيها تحت تأثير الآليات العشـوائية للانتخاب الطبيعي؟! ما الذي سيضمن لنا أن ما نراه اليوم أخلاقيا لن يصبح مستقبلًا غير أخلاقي والعكس صحيح؟!

---

1 P.80 UNBELIEVERS an emotional history of doubt

2 To William Graham 3 July 1881 Charles Darwin

ولا تستمر الأمور في التحسّن عندما ننتبه إلى مسألة أخرى لا تقلّ خطورة عن سابقتها وهي لماذا يجب على الحكومات أن تلتزم بهذا المعيار مع المرضى وكبار السن ومعطوبي الحرب عن طريق الاعتناء بهم وصرف أموالٍ طائلة عليهم بدل أن تبيدهم وهكذا توفر الأموال والموارد الضرورية لخدمة بقية أفراد الشعب الأصحّاء الذين سيوفرون للدولة مداخيل ضخمة في المقابل؟ أليس هذا عين الانتخاب الطبيعي الذي هو ضرورة حتمية لنظرية التطور التي يعتقد الملحد بصحتها؟! فطِبقًا لهربرت سبنسر فإن:" فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل دولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بديهيات الانتخاب الطبيعي، كذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم"[1] الخلاصة مما سبق: أن اللحظة التي قرر فيها الملحد أن يكفر بربه عزّ وجل هي بمثابة حكمٍ بالإعدام لكل ما هو إنسانيٌّ فيه، إعدامٌ للقيمة، إعدامٌ للمعنى، إعدامٌ للضمير، إعدامٌ للإرادة! لقد وضع نفسه أمام ضريبة غالية لن يطيق تحمل مسؤوليتها والعيش على تبِعاتها مهما حاول! لقد أسقط كرامته كإنسانٍ مُكلّف مخلوقٍ لا داء مهمّة عظيمة وجعل حياته مساويةً لحياة كائنٍ أُحادي الخلية لا ميزة في حياة الأول عن الثاني، وصدق رب العزّة عندما قال **{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ }** [البقرة:130]

الرد على الاعتراضات حول الدليل الأخلاقي

لماذا لا يمكن اعتبار الهورمرونات المسؤولة عن المشاعر والأحاسيس دليلًا على قدرة المادة على إنتاج أخلاق وضمير إنساني؟

الإجابة:

هذا الاعتراض وما يشابهه يحتوي على فرضية هي بحدّ ذاتها تحتاج لا ثبات لا يحتمل الشك، إذ ما دليل الملحد الرصدي القطعي الذي يثبت أن الهورمونات هي حقًا المسؤولة عن إنتاج المشاعر البشرية؟ عليه أولا أن يثبت إدعائه بعدها يحقُّ له أن يقدم اعتراضه على الدليل الأخلاقي.

وبالنسبة لهذا الادعاء فهو كما أسلفنا متهافتٌ كونه يفتقر للدليل التجريبي الصحيح من جهة ومخالف للواقع الذي نعيشه من جهة أخرى.

---

1 Social Status p 414-415

مخالف للواقع، كيف ذلك؟! لأنه من المتعارف عليه أن العلاقة بين الهورمونات والمشـاعر هي علاقة تزامنية وليست سببية، بمعنى أنك لو رأيت شخصا تحبه فإن دماغك بالتزامن سيفرز لك هورمون الإندورفين وليس أنك أحببت ذاك الشخص بسبب أن دماغك أفرز الإندورفين!

فلو كان الأمر بمنتهى السطحية التي يتخيلها الملحد لا صبحنا نتحكم في مشاعر وعواطف الناس مثل الآلات وببضعة جُرعات فقط! تخيّل أن شخصين يملكان حقدًا دفينا بينهما فنقوم بجعلهما يحبان بعضهما البعض بعد إعطاء كل واحد منهما جرعة من هورمون الدوبامين، بالله عليكم هل هذا كلام عقلي علمي؟! أو نحضر ورقة عادية ونضع عليها قطرات من كل هورمون لدينا، هل سيتجرّأ أحدهم ويقول أن الورقة قد اصبحت لها عواطف وأحاسيس؟!

إنّها الكوميديا السوداء بمعناها الحرفي!

كيف نرد على من يدّعي أن معيار الضرر والنفع يكفي لتأسيس منظومة أخلاقية متينة بعيدا عن الإيمان بوجود خالق تستمد منه هذه الأخلاق قيمتها وموضوعيتها وبعيدًا عن تشريعاته؟!

الجواب:

يكفي فقط أن نطرح على صاحب هذه السفسطة سؤالًا واحدًا وهو:

ما هو المصدر الذي استمد منه هذا المعيار (معيار النفع والضرر) موضوعيته وقيمته؟!

❖ إن أجاب الملحد بأن هذا المعيار مطلق ويشترك فيه جميع البشر مهما اختلفت أذواقهم فعندها سنشكره لا نها اختصر علينا الطريق وأثبت لنا قيمةً موضوعية وبالتالي وجود مصدر آخر متعالٍ عن هذا الوجود المادي بحيث يستمد منه هذا المعيار (النفع والضرر) قيمته ومعناه ألا وهو الخالق جلّ في عُلاه.....وفي هذه الحالة لم يتبقّ لدينا سوى اثبات ضرورة أن يبعث لنا هذا الخالق الرُّسل ويُنزل معهم الشرائع لتستقيم بها حياة البشر لأن هذا من مقتضيات كونه سبحانه وتعالى منزّهًا عن العبث والظلم بحيث يخلق كائنات عاقلة ذات حرية إرادة ووعيٍ بالشر والخير من غير هدف + يتركهم هكذا يتخبطون في نسبيةٍ أخلاقية حالكة!

❖ أما إن أجابنا أن مصدر هذا المعيار هو نِتاج لاجتهادات خالصة لعقلٍ أو عدّة عقول لمفكرين معينين فسيكون حينها قد عاد بنا إلى نفس معضلة نسبية الأخلاق التي شرحناها وناقشناها مع بعضنا

بما يكفي لا ظهار عوارها ومصـــائبها، إذْ من أعطاه الحق ليفرض عليّ أو عليك أو على أي مجتمع أن نتّبع هذا المعيار ونلتزم به ونجعله دســتورنا في الحياة؟! فمثلما اعتمد الملحد واللّاديني على عقليهما وأسسا هذا المعيار ليكون دستورهما الذي يعطي الصبغة الأخلاقية واللّاأخلاقية لقراراتهما فإن الدكتاتورين والســفاحين والمحتالين والناس العاديين مثلي ومثلك وبالاعتماد على عقولهم كمصـدر للتشـريع سـيكون لهم الحق كذلك في الأخذ بهذا المعيار أو طرحه في أقرب سـلّة للقمامة ولن يقدر أي أحدٍ في ظل هذه النسبية والعبثية الأخلاقية على تخطئتهم أو الاعتراض على قراراتهم!

فهل رأيتم معيارًا سقيمًا وتهافتًا أكبر من هذا؟ لو يتوقف الجاحد بربه وشريعته عن السفسطة ويتقبّل لوازم كفره فلن يختلف رأيه مع رأي ريتشارد دوكنز ويعترف صراحة بأنه:" لا يمكننا الدفاع عن الأخلاق المطلقة في أرضية غير الدين" [1]

ما هو الرد على معضلة يوثيفرو التي يستعملها الملحد بعد عجزه عن الرد على حجج الطرف المؤمن بهدف التشغيب عليه؟

نص المعضـلة: هل العدل أو الشـيء الأخلاقي حسـن لأن الله أراد ذلك؟؟ أم أن هذا الشـيء حسـن فأراده الله؟؟

فأنت لو أجبت وقلت أن العدل شيء حسن لأن الله أراد ذلك فهذا يعني أنه كان بإمكانه أن يستحسن الظلم.

ولو أجبت بأن الله أراد العدل لأن العدل حســن فهذا يعني أنه يوجد قيم منفصــلة عن الله وأعلى منه وهو لم يكن عليه سوى الاختيار فقط.

الجواب:

كُنّا سنتفهّم الأمر لو أن الملحد طرح هذه السفسطة على قومٍ وثنيين يؤمنون بتعدد الآلهة وكل صفة أو شــيء له إله يمثّله مثل إله الحكمة وإله الرزق وغيرهما عند اليونان أو إله النور وإله الظلام عند المجوس. لكن أن يتجرّأ الملحد ويطرحها على شـخصٍ مسـلم ذو عقيدة توحيدية نقية ويتوقّع إحراجه أو ما شابه فهذا عين التهريج والجهل بإيمان الطرف المحاوَر!

1 The GOD Delusion p232

قد يعترض أحدهم ويقول: ما دخل العقيدة في هذا النقاش الفلسفي؟ والإجابة ببساطة أن الطرف الملحد بطرحه لهذه السفسطة أخرجنا من دائرة النقاش حول (وجود الله وهل المادية تغني عن الخالق في مسألة القيم الأخلاقية) إلى دائرة تتعلق بأسماء الله وصفاته، وهذا موضوع عقديّ خالص. وهذا إن دل فإنه يدلّ على إفلاس الملحد وعجزه عن إثبات أن مذهبه المادي يغني عن وجود الخالق في مسألة التأسيس لقاعدة ما دية تستمد منها الأخلاق وجودها وقيمتها ومعناها، وكل ما يستطيع فعله هو التشغيب والسفسطة في مسألة عقدية إسلامية محسومة، المهم يبقى على كفره بالله!

أول ما نبدأ به هو ملاحظة بنية السؤال المطروح لنجد بعد وقتٍ قصير أنه يحتوي على مغالطة منطقية شهيرة وهي مغالطة (إما أبيض إما أسود) وتعني أن يحصرك المناقش بين اختيارين كلاهما يمثلّان مشكلة لك وكأن هذه المسألة لا تحتوي إلا على هذان الاختيارين وهذا عين المغالطة. وفي حالتنا هذه يحاول الملحد أن يجعلك بين نارين إما أن تقول أن العدل حسن لأن الله أراد ذلك أو تقول أن العدل حسن فأراده الله.

لكننا لا نعترف له بهذا التقسيم الذي يحاول فرضه علينا لأنه ببساطة شديدة هناك خيار ثالث وهو أن العدل صفة من صفات الله تعالى وليس أن العدل شيء منفصل عن الله كما يتوهّم طارح هذه السفسطة جهلًا منه بعقيدة مُحاوِره! فمن لوازم الألوهية أن يكون الرب متّصفًا بالكمال ويتنزّه عن أي نقيصة وهذا هو معنى إسم القُدّوس الذي كما فسّره الطبري في تفسيره: " التقديس: هو التطهير والتعظيم"، فالرحمة والعدل والكرم والعِزّة هي كلها صفات حسنة ومن باب أولى أن يكون الله متصفًا بها بشكلٍ كاملٍ مُطلق. يقول جلّ في عُلاه: { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** } [الأعراف:180]

إذًا فالمشكلة كلها كانت تتلخص في أن الملحد يفترض أن الرحمة والعدل وغيرهما هي أشياء منفصلة عن الله ولها كيان خاص بها لكن هذا جهل صريح بأبسط أبجديات العقيدة الإسلامية، لا نها في الأخير صفاتٌ لله ومنه تستمد قيمتها ومعناها، فالعدل حسنٌ لأن الله مُتصفٌ به وعلّمه لعباده وأمرهم الالتزام به، والظلم سيء لأن الله مُتنزّهٌ عنه وقد حرّمه بين عباده، ألم تر أن الرسول صلى الله عليهم وسلم قد أمرنا أن نقول بعد صلاتنا " اللهم أنت السلام، ومنك السلام...." فالله هو السلام وهو من أسمائه الحُسنى ومنه يأتي السلام الذي ندركه نحن ونعيشه بيننا.

لو تجرّد الملحد للحق ودرس لوازم إلحاده ونتائجه على المجتمع من جهة وقرأ عن العقيدة الإسلامية بإنصاف لما أتعب نفسه بطرح سفسطة بائسة لا تصمد أمام نصٍّ شرعي واحد لأن المسألة ليست لعبة فكرية بين مجموعة من الفلاسفة المتحذلقين، إنها صِدامٌ بين حق وباطل، بين الفطرة والعبثية العدمية.

أنتم تدّعون أن إلهكم رحيمٌ وعادلٌ وكريمٌ وغيرها من صفات الكمال التي تنسبونها إليه، فلماذا إذًا يوجد شر في هذا العالم من حروب وأمراض وجرائم بمختلف أنواعها؟! أليس من المفترض أن تكون حياتنا خالية من الآلام والأحزان إذا كان السبب في وجودنا إلهٌ رحيم كريم؟!

الجواب:

هذه إحدى أشهر الحجج التي كانت دائمًا تتصدر كتابات كهنة الإلحاد على مرّ القرون باعتبارها واحدة من الاعتراضات الرئيسية القوية (حسب زعمهم) القادرة على إعجاز الجانب الإيماني الذي يحاول الانتصار لقضية الوجود الإلهي، وهي ما يُعرف باختصار بتسمية "معضلة الشر".

والرد عليها بمنتهى البساطة سيكون على عدة أوجه بسبب كثرة الثغرات التي تعتريها وهي كالتالي:

الوجه الأول: أن الملحد لا يعي حجم الكارثة التي جلبها على معتقده وهو يتحدث عن الشر ومُشتقّاته، فكما سبق وأثبتنا في هذا البحث فالإلحاد لا يخرج عن كونه إيمانًا بما يقع تحت الحواس وبما يخضع للمنهجية التجريبية (الملاحظة، القياس..) وأي شيء لا تنطبق عليه هذه الشروط فهو يقع داخل دائرة الخرافة والوهم، فحينها نقول لو كان الإلحاد بلوازمه صحيحًا فمن المفترض أن لا يشعر الملحد لا بشرٍّ ولا بخير بل لا يُدرك مفهومهما أصلاً! لأننا نحن البشر وفق هذه النظرة الإلحادية للوجود لسنا سوى قوالب ما دية ثلاثية الأبعاد، نتكون من نفس ما يُكوّن هذا العالم المحيط بنا، ونخضع لنفس القوانين المُسيِّرة له!

وهذا يقودنا إلى أن الشر وما شابهه مفهومٌ دخيل على الوجود المادي فلا يمكن ملاحظته في المخابر ولا يمكن بالضرورة قياسه، وهنا يأتي السؤال المُلحّ لماذا يُصرُّ الملحد على عدم الالتزام بلوازم نظرته المادية للوجود عن طريق إقحام مفاهيم ومصطلحات لا حقيقة لها من الناحية العلمية التجريبية بل

يحاول تبنّيها ومناقشتها؟! الإجابة كما يقول أستاذنا علي عِزّت بيجوفيتش رحمه الله بأن الإنسان غير مُفصّل على طِراز داروين، الإنسان لن يستطيع أن يكون حيوان حتى لو أراد ذلك من كل قلبه، الإنسان رجلاه مغروستان في الأرض لكن رأسه دائمًا مرفوع ومُتطلّع إلى السماء!

النتيجة هي أن احتجاج الملحد بالشر والمظالم على معتقده بنفي وجود الباري عزّ وجل هو اعتراف صريح منه من حيث لا يدري على أن الإلحاد لا يمكن أن يكون حقيقيا ولا وجود له على أرض الواقع بل هو في حاجة إلى مرجعية أخرى لا علاقة لها بالعالم المادي منها يستمد القيمة لوجوده والمعنى لكل ما هو غير ما دي مثل الشر والخير، ويتخذها بوصلة لتحديد الصواب من الخطأ، وهذا راجعٌ إلى كونه من الأساس **مخلوق مُكلّف!**

الوجه الثاني: لنتخيّل معًا أننا نعيش في عالمٍ كليٍّ الخير من أوّله لا خره، هل كُنا سندرك مفهوم الخير الذي نعيشه من أساسه؟! قطعًا لا لأننا لم نذق طعم نقيضه ألا وهو الشر وبالتالي لن نشعر أبدًا بوجود الخير ولن نعرف قيمته.

النقطة الأساسية التي أريد أن أصل إليها معكم هي أن إحساسنا نحن كمخلوقات مُكلّفة بوجود الشر هو دليلٌ قاطعٌ على وجود الخير نفسه! وهذا بديهي فمثلا لم نكن لنعرف معنى النور لو لم يكن هنالك ظلام، ولم نكن لنعرف الشبع لولا وجود الجوع، ولم نكن لنعرف طعم الفرح لولا وجود نقيضه الحزن، وقس على ذلك ما شئت من الأمثلة لأن الشاهد منها واحد وهو أنه حتى نُدرك المعنى والقيمة لشيء ما لا بد من توفر نقيضه حتى نقدر على الفصل بينهما.

وهنا نقلب الطاولة على الملحد ونقول: إذا كنت تريد إنكار وجود الخالق عن طريق محاولة اللعب على وتر وجود الشر بكل أنواعه، فما هو تبريرك إذن لوجود الخير في هذا العالم والذي يشترك في الشعور به معشر الإنس بمختلف عقائدهم وألسنتهم؟!

الوجه الثالث: أن حجة الملحد كانت لتكون صحيحة لو أن الله عزّ وجل كان قد وعدنا بأن حياتنا التي نعيشها الآن مثالية يسودها الأمان والفرح وخالية من الآلام والمآسي ومُشبعة بالملذّات التي لا تنتهي، هنا حقا سيكون لمعضلة الشر تأثير كبير لا يمكن تجاهله.

لكن عندما نتفحص النصوص الشرعية التي بين أيدينا من قرآنٍ وسنةٍ صحيحة واللتان هما رسالة الله الخالق إلى عباده نجد العكس تمامًا! فالله تعالى لم يتركنا كالأنعام نهيم على وجوهنا دون أن يُخبرنا بالهدف الأساسي من خلقنا ومالمطلوب منا تأديته حيث يقول { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } [الذاريات:56].

وتأدية هذه العبادة على الوجه الصحيح وِفق ما يُحبه ويرضاه جلّ في علاه لن يكون طريقه سهلًا مفروشًا بالورود يقول الله تعالى { **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ** } [العنكوبت:2]، ويُقصد بهذه الفتن الامتحانات والابتلاءات التي سنتعرّض لها في هذه الدنيا من أجل أن يحصل التفريق بين العبد الصابر الصادق في دعواه بأنه يعبد الله بإخلاصٍ والتزامٍ تام بأوامره واجتناب لنواهيه وبين العبد الفاجر الساخط على مشيئة ربه والمتمرّد على الهدف الرئيسي من خلقه، يقول سبحانه وتعالى { **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** } [المُلك: 2]، ومثلها في سورة الأنبياء حيث يقول تعالى { **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** } [الأنبياء: 35] ويقول في آية أخرى { **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** } [العنكبوت:3]، ونختم بهذه الآية الكريمة حيث يقول رب العزّة {**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** } [البقرة:155].

بل سنجد أن الله سبحانه وتعالى في مواضع أخرى يؤكّد على أن هذه الدنيا فانية، نعيمها زائل ولذّتها مؤقتة { **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** } [الحديد:20]، ويقول أيضًا جلّ في عُلاه { **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** } [يونس: 24]، بل ويُخبرنا نبيّه صلى الله عليه وسلم

بمدى حقارة هذه الحياة الدنيوية عند الله قائلًا " لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ "[1]

وفي المقابل يصف لنا سبحانه وتعالى الآخرة قائلًا { **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** } [العنكبوت:64]، أي: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها.[2] ويصفها في سورة النازعات فيقول { **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** (17)}

نستخلص ممّا سبق أن:

- ❖ أن الدنيا ليست هي جنة السعادة الأبدية والحياة المثالية بل هي دار العبادة والابتلاءات والفتن
- ❖ أن الشرّ بحد ذاته فتنة وامتحان لاختبار شدة إخلاص العبد لربه وصبره على أقداره والتزامه بشرائعه
- ❖ أن الدنيا بما فيها من ملذات ونِعم زائلة لا تساوي عند الله جناح بعوضة، بل الهدف الأسمى الذي وجب على العباد أن يضعوه نصب أعينهم هو السعي إلى نيل رضا الله ومحبته المستوجبة للنجاة في الآخرة والفوز بالجنة ذات الحياة الأبدية والنعيم الغير منقطع.
- ❖ أنه لا يستوي المؤمن المُستنير بنور ربه والذي يعي جيدًا الهدف من وجوده وقيمة هذه الدنيا التافهة مقارنة بما ينتظره من سعادة وفرح ورضوان في الآخرة مع الملحد الذي كفر بربه وردّ عليه وحيه ففقد بذلك بوصلة الهداية التي تنجيه من بحر الكآبة واللامعنى وأصبحت أدنى الابتلاءات تعصف بقلبه وتجعله يتسخّط على أقدار خالقه.

الوجه الرابع: الشر في مثالنا هذا كغيره من المخلوقات قد شاء الله أن يوجده بيننا لحِكمٍ مُتعددة سواءٌ علمناها كلها أو جهلناها كلها أو علمنا جزءً يسيرًا منها فذلك لن ينفي الحكمة من أفعاله سبحانه وتعالى لأن الحكمة والعلم من لوازم كماله وقُدسيته ولا يجوز فطرةً وشرعًا أن ننسب العبث إليه.

---

1 الراوي: سهل بن سعد الساعدي |المحدث: الألباني |المصدر: صحيح الترمذي |الصفحة أو الرقم2320 : خلاصة حكم المحدث: صحيح

2 تفسير الطبري 6/ 87

ومن بين هذه الحِكم على سبيل المثال لا الحصر ما أشرنا إليه في الوجه الثالث من ردنا على هذه الشبهة وهي كون الشر ابتلاء وفتنة ليختبر الله به التزام الناس بطاعته وصبرهم على شرائعه وأقداره، كما يمكن للشر أن يكون شرًّا من جانب وخيرًا من جانب آخر! فالبراكين ذات سمعة سيئة بين الناس بسبب الأضرار المادية والبشرية التي تُخلّفها لكنها في نفس الوقت تحمل في طياتها كنوزًا من الأحجار الكريمة والثروات الباطنية المساهمة في قيام الحضارات البشرية ولا ننسى قدرتها الكبيرة على تخصيب التربة الزراعية، وإليكم مثالًا إضافيًا وهو سموم الأفاعي وبقية المخلوقات السامة فهي ذات تأثير قاتل وضرر كبير على الإنسان لكن في نفس الوقت هي مصدر لصناعة العقاقير الطبية والأمصال المضادة للسموم نفسها. وإليكم هذا الاقتباس القيّم للشيخ الفقيه ابن عثيمين أثناء شرحه لكتاب التوحيد الخاص بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله قائلًا: " إذا قيل: ثبت أن الله قضى كونا ما لا يحبه، فكيف يقضي الله ما لا يحبه؟ والجواب: أن المحبوب قسمان: محبوب لذاته - محبوب لغيره فالمحبوب لغيره قد يكون مكروهًا لذاته، ولكن يُحبُّ لما فيه من الحكمة والمصلحة، فيكون حينئذٍ محبوبًا من وجه ؛ مكروها من وجه آخر، مثال ذلك: الفساد في الأرض من بني إسرائيل في حد ذاته مكروه إلى الله ؛ لأن الله لا يُحب الفساد، ولا المفسدين، ولكن للحكمة التي يتضمنها يكون محبوبا إلى الله - عزّ وجلّ ـــ من وجه آخر، ومن ذلك القحط والجدب والمرض والفقر؛ لأن الله لا يُحب أن يؤذي عباده بشيء من ذلك بل يريد بعباده اليُسر، لكن يُقدره للحكم المترتبة عليه، فيكون محبوبا إلى الله من وجه، مكروها من وجه آخر. قال الله تعالى **{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}**، فإن قيل: كيف يتصور أن يكون الشيء محبوبًا من وجه مكروها من وجه آخر؟ فيقال: هذا الإنسان المريض يعطى جرعة من الدواء مُرّة كريهة الرائحة واللون، فيشربها، هو يكرهها لما فيها من المرارة، واللون، والرائحة، ويحبها لما فيها من الشَّفاء، وكذا الطبيب يكوي المريض بالحديدة المحماة على النار ويتألم منها فهذا الألم مكروه له من وجه محبوب له من وجه آخر."[1]

1 القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين رحمه الله المجلّد الأول ص26

ولا ننسى التنبيه على أن الله جعل مصادر وأسباب ينتج عنها هذا الشر ولعل أكبر مصدرٍ له هو أفعال البشر أنفسهم! فهل الله هو من أجبر الناس على خوض حربين عالميتين وسفك دماء ما يقارب الـ76 مليون نسمة فقط من أجل تحقيق مكاسب ورغبات ما دية لا شباع الجشع الإنساني؟! وهل هو من أمرهم بإلقاء قنبلتين نوويتين على أُناس أبرياء وعُزّل في اليابان؟! وهل هو من أمر بول بوت رئيس كمبوديا بقتل أكثر من مليون ضحية من بني شعبه؟! وغيرها من الجرائم المُنقوشة في الأرشيف الأسود للغرب الإنساني، وصدق ربنا عندما يقول { **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** } [الروم:14]، ويقول أيضًا { **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** } [الشورى:30].

وهذا يقودنا إلى نقطة محورية أخيرة وهي كون خلق الله تعالى للشر والسماح بوجوده لا يلزم منه بالضرورة أن ننسبه إليه ونجعله أحد صفاته الذاتية، فكما سبق وأشرنا فإن من لوازم ألوهيته عزّ وجل أن يكون مُتصفًا بكل صفات الكمال وأن يتنزّه ويتقدّس عن كل نقيصة لا تليق بجلاله. فهو كما وصف نفسه تبارك إسمه { **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } [النحل: 90]، وكما وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل: "..... وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ....."[1]

1 الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 771 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أقوى وأبسط برهان على صحة الإسلام

بعدما تمكّنا سابقًا بفضل الله سبحانه وتعالى من إثبات:

- **فطرية الإيمان بوجود الباري عزّ وجل**
- **فطرية توحيده**
- **فطريّة الإيمان بكمال صفاته**
- **فطريّة التديّن**

ولم نكتف بإثبات ذلك عن طريق برهان الفطرة (بالرغم من قوّته ووضـوحه) بل دعّمنا هذا البحث ببراهين عقلية ذات أسـاس منطقي متين اسـتطعنا من خلالها الكشـف عن المزيد من صـفات الخالق عزّ وجل وتثبيتها في قلب القارئ من حكمةٍ ورحمةٍ وقيّوميةٍ وغيرها..... وهنا تقفز علينا مجموعة من الأسئلة الضرورية المُلحّة على النفس البشرية، هذه الأسئلة لا يمكنك الهرب منها أيا الملحد أو اللّاديني أو أيًّا كنت! لا يمكنك التشـويش على ضـرورة إيجاد إجابة عنها تُشـفي الغليل مهما أغرقتها بالسـخرية والاستخفاف!

المسـألة وجودية وخطيرة أيها الملحد، المسـألة ليسـت لعبة أطفالٍ اسـتحدثناها في هذه العقود المتأخرة، المسألة ملازمة لنفس الإنسان ووجدانه منذ أقدم العصور البشرية التي استطعنا الكشف عنها! لا تتحجج علينا أيها الملحد بكثرة الأديان وعددها الذي يصـل إلى آلاف كما تدّعي، لا تكن كذاك القاضـي الفاشـل الذي ما إن وجد أن الحق يتنازع عليه أكثر من شـخص حتى قام فحكم عليهم جميعًا بالسـجن! وهكذا أنت تفعل، وجدت عددًا كبيرًا من الديانات التي تدّعي أن الحق معها فرحت مباشـرة أقصـيتها كلها وحكمت عليها بالبطلان! ما هكذا تورد الإبل يا صـاح، صـدقني الموضـوع ليس بذلك التعقيد الذي أوهمك الشيطان به بل الأمر لن يحتاج منك أكثر من التجرّد للحق وتحكيم فطرتك وعقلك اللّذان سيجعلانك رغمًا عنك تحاول البحث عن إجابةٍ على سؤالين مصيريّين هما محور حجّتنا وعمدة طرحنا:

❖ **من هو الدين الذي حقّق التوحيد النقي المتطابق مع الفطرة البشرية ودعى إليه واعتنى به أشـدّ الاعتناء؟؟**

❖ **من هو الدين الذي قدّس صفات الإله وكماله المغروس في أعماق الفطرة البشرية ونزّهه عن جميع النقائص التي لا تليق بجلاله ومقامه؟؟**

ما بك؟! هل لا زلت تحاول التفكير والأخذ والرد مع نفسك أيها الملحد؟! صدّقني الإجابة سهلة وواضحة ومتأكد من أنك أدركتها بسرعة لكن هوى نفسك وتأثير الشبهات قد شغّبا على قلبك المسكين، لكن لا تقلق ولا تيأس فنحن بالنسبة لك مجرّد أسباب قد وضعها الله لك لإزالة هذه الشوائب والأخذ بيدك إلى برّ الأمان، إلى برّ النفس المطمئنة!

الدين التوحيدي الأوحد على ظهر هذا الكوكب هو الإسلام!

الدين الوحيد الذي حقق التوحيد النقي المتطابق مع الفطرة البشرية هو الإسلام!

الدين الوحيد الذي جعل من توحيد الله هو رأس أمره وأساس تشريعه وأعظم ما نادى به الأنبياء منذ آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم هو الإسلام!

الدين الوحيد الذي جعل من كلمة التوحيد هي أعظم ما ينطق بها الإنسان وهي التي تنجيه من الخلود في النار ومناقضتها هي أعظم جريمة يرتكبها العبد في حق نفسه هو الإسلام!

هذه هي الإجابة عن سؤالنا الرئيسي الأول أيها الملحد بمنتهى البساطة والصراحة، والقرآن الكريم مليءٌ بآيات التوحيد وإفراد الله في العبودية وإليك هذه الأمثلة عن آيات التوحيد (بعض الآيات وليس على سبيل الحصر) فنجد قوله تعالى { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } [الذاريات:56] وفي آية أخرى نجده سبحانه وتعالى يقول { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** } [الأنبياء:20] ويقول كذلك جلّ في علاه { **قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** } [الأنبياء:108] وفي سورة النحل يقول الله عزّ وجل { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** } [النحل: 36].

ولو أردت دلائل وأمثلة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإليك الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال:" كنتُ رَدِيفَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على حمارٍ، فقال لي: يا مُعاذُ، أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: حَقُّ اللهِ على العِبادِ أن يَعبُدوه

ولا يُشرِكوا به شَيئًا، وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا"[1]. وأيضًا الحديث الشهير الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم:" بُنِيَ الإسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ"[2]

وبالنسبة للسؤال الرئيسي الثاني فهو لا يختلف عن سابقه من حيث سهولة الإجابة ووضوحها لكل منصفٍ باحثٍ عن الحق، **فلا يوجد دينٌ غير الإسلام قدّس الله وعظّم من شأنه وشأن أسمائه وصفاته! ولا يوجد دينٌ نفى عن الله النقائص والوقاحة التي نسبها له أهل الأوثان والضلال مثل الإسلام!**

والأدلة من القرآن الكريم معروفة لدى كل عامي طفلًا كان أم بالغًا، فنجد الآية الشهيرة التي هي عمدة عقيدتنا الإسلامية في موضوع الأسماء والصفات، يقول الله تبارك وتعالى { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الشورى: 11] وكذلك خاتمة سورة الإخلاص حيث يقول ربنا تبارك اسمه { **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** } يقول الإمام السعدي رحمه الله في تفسيره:" { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات" وكذلك نجده سبحانه وتعالى يقول في آيةٍ أخرى { **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } [النحل:60] ومعنى المثل الأعلى هو " كل صفة كمال " كما وردت في تفسير السعدي رحمه الله تعالى.

أما بقية الأديان والعقائد فلم تسلم من مظاهر الشرك والوثنية سواءٌ قلّت أو كثُرت، فالمسيحية جعلت الله ثالث ثلاثة ونسبت للمسيح عليه الصلاة والسلام صفات الألوهية التي تتناقض بصراحة مع صفاته البشرية التي تثبت أنه مخلوق ناقص مثلنا (مع حفظ مكانته العالية كنبيٍّ مكرّم عند الله)، واليهودية كذلك بمجرد أن تتفحص التورات التي بين أيديهم حتى تجد نفسك ممسكًا شعر رأسك من هول الوقاحة وقلة الأدب مع الله عزّ وجل فمرة ينسبون له التعب والاستراحة بعد خلقه للسماوات والأرض ومرة ينسبون له النوم والاستيقاظ ومرة ينسبون له الندم والظلم، بل وصل الأمر بهم إلى تأليف قصة

---

1 الراوي: معاذ بن جبل |المحدث: محمد ابن عبد الوهاب | المصدر: الرسائل الشخصية لا بن عبد الوهاب | الصفحة أو الرقم: 46
خلاصة حكم المحدث: ثابت | التخريج: أخرجه البخاري (2856)، ومسلم (30) باختلاف يسير

2 الراوي: عبدالله بن عمر| المحدث: البخاري| المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم:8 | خلاصة حكم المحدث: صحيح

مفادها أن الرب تصـــارع مع يعقوب وكاد أن يُغلب تعال ربّنا القدّوس العظيم عن قلة الأدب هذه علوًّا كبيرًا! ولا تتحســن الأمور كثيرًا عندما نلقي نظرة على ديانات شــرق آســية كالبوذية والهندوســية وما شباههما، فبغض النظر عن النقائص التي نسبوها للإله حالهم كحال اهل الكتاب إلا أنك ستغسل يدك منهم بمجرّد أن تطّلع على عقيدة وحدة الوجود عندهم التي تجعل الإله يحلّ في مخلوقاته فيكون بذلك خالقًا ومخلوقًا في نفس الوقت!

وطبعًا لا تنتظر منّا يا زميلنا الملحد أن نبحر بك في جميع ديانات العالم حتى تتأكد من كونها ملوّثة بالوثنية والضــلال، فالحق واضــحٌ واحدٌ لا يتعدد، فلو أمامك 100 دولاب وكنت مطالبًا بإيجاد وثيقة مهمة في أحدها وبعد بحثٍ يســير وجدتها في الدولاب رقم 7 وتمّت بذلك مهمّتك، لا تأتي إلى مديرك وتقول له دعني أكمل بحثي في بقية الدواليب حتى أتكّد من عدم وجود الوثيقة فيها! هذا لا يقول به عاقل.

لكن لحظة، أرى أنك تبتسم إلينا ابتسامة المنتصر الواثق من نفسه وتنوي مقاطعة كلامنا قائلًا: حتى دينكم الإسلامي لم يحترم الإله بل نسب إليه صفات نقصٍ مثل المكر والخداع وذلك في الآية الشهير { **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ۖ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** } [الأنفال:30] وكذلك هذه الآية {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**} [النساء:142] وبالتالي يمكننا اعتبار أن دينكم لم يجب على السؤال الرئيسي الثاني ولم يحقق شروطه!

والإجابة على اعتراضك أيها الملحد سهلٌ ويسير بفضل الله وليس بالأمر الجلل إنما يحتاج قليلًا من الإنصاف والتركيز..... سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يوصف الله بالمكر؟ وهل يسمى به؟ فكانت إجابته كالآتي:

" لا يوصــف الله تعالى بالمكر إلا مقيداً، فلا يوصــف الله تعالى به وصــفـاً مطلقـاً، قال الله تعالى { **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِــرُونَ** } [الأعراف:99]. ففي هذه الآية دليل على أن لله مكراً، والمكر هو التوصــل إلى إيقاع الخصــم من حيث لا يشــعر. ومنه جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (الحرب خدعة).

فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟ قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن تقول: (إن الله ماكر) وإنما تذكر هذه الصفة في مقام يكون مدحًا، مثل قوله تعالى { **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ** } [الأنفال:30]، وقوله { **وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَ ْشعُرُونَ** } [النمل:50] ولا تُنفى هذه الصفة عن الله على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام الذي تكون مدحًا يوصف بها، وفي المقام الذي لا تكون فيه مدحًا لا يوصف بها. وكذلك لا يُسمى الله به فلا يقال: إن من أسماء الله الماكر، والمكر من الصفات الفعلية لا نها تتعلق بمشيئة الله سبحانه "[1]

وسُئل كذلك رحمه الله: هل يوصف الله بالخيانة والخداع كما قال الله تعالى {يخادعون الله وهو خادعهم}؟؟ فأجاب قائلًا: " أما الخيانة فلا يوصف الله بها أبداً، لا نها ذمٌّ بكل حال، إذ إنها مكر في موضع الائتمان، وهو مذموم، قال الله تعالى{ **وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** } [الأنفال:71]، ولم يقل: فخانهم.

وأما الخداع فهو كالمكر يوصف الله تعالى به حين يكون مدحًا، ولا يوصف به على سبيل الإطلاق قال الله تعالى{ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** } [النساء:142] "[2]

أزعم أن إجابة الشيخ رحمه الله كافية شافية بإذن الله لكل ذي لُبٍّ منصفٍ متجرّدٍ للحق، فماذا تنتظر أي الملحد أو أيها اللّاديني؟؟ نحن لا نطلب منك إيمانًا عاطفيًّا كلاّ ما ذاك الذي نبتغيه! نحن نطلب منك العودة إلى أصل خِلقتك وما جُبِلت عليه، نحن نطلب منك تحكيم فطرتك المغروسة بشدّة في أعماق نفسك، نحن نطلب منك تحكيم أدوات عقلك الصحيحة بعيدًا عن لعبة السفسطة والافتراضات اللّانهائية.....تذكّر أنّك لم تُخلق عبثًا ولست موجودًا هنا في هذه الدنيا لتعيش حياةً بهيمية خالصة من أكلٍ ونومٍ وتزواجٍ ثم الموت ثم الفناء إلى الأبد! أنت بنفسك لا يمكنك إنكار الصوت الداخلي المنبعث من داخلك الصارخ المُطالب بإجابة شافية عن الأسئلة الوجودية الكُبرى: **من خلقني؟ ما الهدف من وجودي؟ ما ذا بعد الموت؟** هذه الأسئلة التي تميّزنا عن بقية المخلوقات حولنا والتي مهما حاول

1 فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (1/170)

2 فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (1/171)

الجاحد منّا دفنها والتشـغيب عليها فإنها تأبى إلا أن تُسـبب له الأرق والعذاب النفسـي بسـبب محاولته تجاهلها!

والله إنا نحب لك الخير والهداية والسـعادة الأبدية في الآخرة، ونخشـى عليك من عقاب الرحمن وغضبه وأن يكون مصيرك نفس مصير أهل النار المذكور في هذه الآية {**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** (10) **فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لا صْحَابِ السَّعِيرِ** (11) } سـورة المُلك.....فارحم نفسك أيها الملحد أو أيّها اللّاديني!

{ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة: 201]

هذا الكتاب

في ظلّ وفرة من المشاريع الإيمانية الضخمة المضادة للتيارات اللّادينية، لمجموعة محترمة من الدعاة والمشايخ -جزاهم الله خيرا- يتميز البعض منها بلغة أكاديمية معقّدة، و البعض الآخر بكثرة التوسّع الذي يصد غير المتخصصين... يأتي مشروعًا متواضعًا إلى الساحة العلمية، بعدما حاولنا جعله جامعًا بين بساطة اللفظ و اختصار الطرح، دون إهمال قوة الحجّة، بل الحرص على جعلها دامغة بإذن الله تعالى، ليكون جهيزة تقطع قول كل خطيب، في مهزلة التشكيك بوجود ربنا جل و علا.

((١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م))